بسم الله الرحمن الرحيم

JournaL of the Faculty of Sharia & Law(FSLJ)

مجلة كلية الشريعة و القانون

https://journal.oiu.edu.sd/index.php/JFSL

ISSN: 5442-1858

2022; 13(1);65-94

https://doi.org 10.52981/jfsl.v13i1.2854

أحكام التسامح وآثاره المجتمعية والدولية

دراسة تأصيلية

Tolerance Provisions, Its Societal and International Influences Detailed study

د / عبدالله بن عبدالعزيز الغيث، الأستاذ المشارك بقسم السياسة الشرعية بالمعهد العالي للقضاء بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية

البريد الالكتروني: a.a.g2200@hotmail.com

المستخلص :

لقد خلق الله الإنسان وفطره على أخلاق حميدة، وسجايا وقيم فريدة، يتعامل بها مع الآخرين، لكي تبقى العلاقات مستمرة وباقية، ومن أعظم الأخلاق الإنسانية خلق التسامح، الذي كان له الأثر في دعم وتقوية علاقات الأفراد والمجتمعات والدول، لأجل هذه الأهمية اخترت دراسة أحكام التسامح في الفقه الإسلامي وآثاره المجتمعية والدولية دراسة تأصيلية، وقد جاءت تقسيمات البحث كما يلي:

بدأت الدراسة بالمقدمة ، ثم جاء المبحث الأول بالتعريف بمفهوم التسامح، ثم المبحث الثاني بمشروعية التسامح في الفقه الإسلامي، ثم تناولت الدراسة بالمبحث الثالث خصائص التسامح ثم جاء المبحث الرابع بمظاهر وصور التسامح في الفقه الإسلامي، ثم في المبحث الخامس بضوابط التسامح ، ثم تناولت الدراسة في المبحث السابع آثار التسامح المجتمعية والدولية ، ثم المبحث الثامن تناولت الدراسة موانع مؤثرة على التسامح الإسلامي، وجاء المبحث التاسع بعرض شبهات مثارة حول التسامح والرد عليها، وجاءت الخاتمة متضمنة أهم النتائج والتوصيات والفهارس، وختاماً اسأل الله أن يجعله خدمة للإسلام والمسلمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كلمات افتتاحية:التسامح – العلاقات – استقرار – الدولية

Abstract

Allah has created man and innates him on good morals, attributes and unique values, across them he deals with others, so relations remain continuous and enduring, and one of the greatest human ethics is the creation of tolerance, which had the effect of supporting and strengthening the individuals, societies and nations relationships. For this importance, I chose to study the provisions of tolerance of Islamic jurisprudence and its societal and international Influences as a detailed Study. The research divisions came as follows:

The study began with the introduction and first topic introduced the tolerance concept. The second study dealt with the tolerance legality in Islamic jurisprudence. The third topic dealt with the tolerance characteristics, the fourth topic came up with the manifestations and images of tolerance in Islamic jurisprudence. The fifth section on tolerance controls, the study dealt with the seventh topic, the effects of

societal and international tolerance. The eighth topic dealt with barriers affecting Islamic tolerance. The ninth topic presented suspicions raised about tolerance and a response to them. The conclusion included the most important findings, recommendations and indexes. In conclusion, I ask Allah to make it a service to Islam and Muslims and blessings and peace be upon our Prophet Muhammad and his family and companions as a whole.

Keywords:Tolerance - Relations - Stability - International

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام، وعلى المبعوث بخلق التسامح والرحمة لكافة العالمين، محمد بن عبدالله الأمين، خاتم الأنبياء والمرسلين، صلى الله عليه وعلى آله واصحابه وسلم تسليماً مزيدا إلى يوم الدين .. أما بعد:

لقد خلق الله تعالى الإنسان وفطره على أخلاق حميدة، وسجايا وقيم فريدة، يتعامل بها مع الآخرين، لكي تبقى العلاقات الإنسانية مستمرة، والصلاة والمودات باقية متلاحمة، ومن أعظم الأخلاق الإنسانية خلق التسامح، فهو خلق عظيم له الأثر البارز في دعم العلاقات وتماسك المجتمعات، وتعايش الدول في مختلف المجالات، ولأهمية التسامح وعظمه في حياة البشر جاء الإسلام داعياً إلى التسامح في كافة المجالات، وعلى جميع الأصعدة والمستويات، ونادى الإسلام إلى التسامح مع كافة شعوب وأمم الأرض، ووضع الإسلام لهذا التسامح أحكاماً وآدابا، ولأجل هذه الأهمية للتسامح الإسلامي، أحببت أن أقدم هذه الدراسة خدمة للإسلام والمسلمين، ودفاعاً عن دين الإسلام وعن نبي الإسلام محمد ﷺوالله تعالى أسأل أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وجاءت هذه الدراسة بعنوان أحكام التسامح وآثاره المجتمعية والدولية دراسة تأصيلية.

أهمية الدراسة:

التسامح له مظاهر متعددة، وأنماط مختلفة، فهناك التسامح الديني والدولي والسياسي، والتسامح الاجتماعي والأسري والإنساني وغيرها، ولذا فإن التسامح له ارتباط وثيق في واقع حياة الناس والدول، لكونه يدخل في كافة المجالات، وجاء الإسلام بتشريعاته السامية وتعاليمه الراقية، فوضع للتسامح أحكاماً وآداباً، ينبغي مراعاتها والامتثال لها ، ولذا كان لدراسة خلق التسامح في الفقه الإسلامي أهمية عظمى وخصوصاً في الواقع المعاصر الذي يحتاج فيه إلى نشر أحكام التسامح الإسلامي بين الأفراد والمجتمعات والدول، وإبراز جهود الإسلام في وضع أحكام التسامح وبيان آثاره على المجتمعات والدول.

مشكلة الدراسة:

التسامح له أهمية عظمى في حياة الأفراد والدول، وقد جاء الإسلام بدعوته للتسامح، ورسم الإسلام لهذا التسامح أحكاماً وآداباً جليلة، ينبغي مراعاتها والامتثال لها، إلا أنه بالرغم من وجود هذه الأحكام والآداب للتسامح في الفقه الإسلامي، فإنه يوجد خلل عند البعض وعلى مستوى الأفراد والمجتمعات والدول في تطبيقهم للتسامح، وهذه السلوكيات الخاطئة نتجت بسبب عدم الامتثال للمنهج الإسلامي للتسامح، وعدم مراعاة أحكام وآداب التسامح الواردة في الفقه الإسلامي، مما كان لذلك الأثر السلبي في تصيد أعداء الإسلام الفرص، والحاق التهم بالإسلام والصاقها به، بأنه دين لا يدعو للتسامح، ومن هنا كان لابد من قيام دراسة علمية تنشر أحكام التسامح وآدابه وضوابطه التي جاءت في الفقه الإسلامي، وتبرز جهود الإسلام في رسم أسس ومرتكزات وآداب التسامح في الإسلام، وذلك للحد من تلك السلوكيات الخاطئة، وإصلاح الأخطاء ونشر ثقافة التسامح بين المجتمعات والدول، والرد على الشبهات المثارة حول التسامح الإسلامي وتصحيح صورة الإسلام وإزالة التهم الملصقة به، وهذا ما حاولت هذه الدراسة تناوله والتغلب عليه إن شاء الله تعالى.

تساؤلات الدراسة:

- ما هو مفهوم التسامح في الفقه الإسلامي؟ وهل للتسامح تاريخ بين الأمم والشعوب الماضية؟
- ما موقف الفقه الإسلامي من التسامح؟ وما هي خصائص التسامح في الإسلام؟
- ما هي مظاهر وصور التسامح في الفقه الإسلامي؟ وما ضوابطه؟ وما هي آدابه؟
- ما هي آثار التسامح المجتمعية والدولية؟ وما هي الموانع المؤثرة على التسامح الإسلامي؟

الدراسات السابقة:

لقد تناول بعض الباحثين موضوع سماحة الإسلام، وتعددت وجهات نظر الدارسين بالطرح والدراسة، فمنهم من يتناول جزئية معينة في الموضوع، مثل إبراز صور سماحة الإسلام فقط، ومنهم من يتناول موقف الإسلام بالتسامح مع غير المسلمين، وجاءت هذه الدراسة تختلف عن كافة الدراسات السابقة بمحاولة جمع أحكام التسامح في الفقه الإسلامي وإبراز آثاره المجتمعية والدولية، وقد جاءت الدراسات السابقة على النحو الآتي:

1- سماحة الإسلام، د. عبدالعزيز الربيعة وهو كتاب مطبوع من مطبوعات مؤسسة الرسالة عام 1400هـ، وقد أبرز فيه الباحث صور ومظاهر سماحة الإسلام.

2- سماحة الإسلام في معاملة غير المسلمين، د. عبدالله بن إبراهيم اللحيدان، وهو بحث منشور في موقع حملة السكينة التابع لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية وقد أبرز فيه الباحث سماحة الإسلام في السنة النبوية وآثار الصحابة في تعاملهم مع غير المسلمين.

3- سماحة الشريعة في التعامل مع الواقع، د. عبدالرحمن الزنيدي وهو عبارة عن ورقة عمل مقدمة لندوة أثر القرآن في تحقيق الوسطية ورفع الغلو.

4- دعوة تسامح الغرب مع المسلمين في العصر الحاضر دراسة نقدية في ضوء الإسلام للباحث عبداللطيف بن إبراهيم الحسين، وهي رسالة ماجستير مقدمة لكلية الشريعة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية لعام 1417هـ.

5- سماحة الإسلام مع غير المسلمين في بلاد الإسلام للباحث عبدالعزيز بن أحمد الغامدي وهي رسالة ماجستير مقدمة لكلية الشريعة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية لعام 1425هـ.

6- التسامح بين القرآن الكريم والعهد الجديد للباحث عبدالله محمد أحمد ربابعة، وهي رسالة ماجستير مقدمة لجامعة آل البيت لعام 2007م.

7- التسامح الإسلامي قراءة في معطياته الفكرية وآثاره الواقعية في ضوء الكتاب والسنة، للباحث عبدالواسع محمد غالب الغشيمي وهو بحث منشور في مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية لعام 1434هـ.

ومن خلال عرض هذه الدراسات نستنتج الفروق بينها وبين هذه الدراسة على ما يلي:

1- أن كل دراسة من الدراسات السابقة تناولت جزئية معينة للتسامح الإسلامي، بينما هذه الدراسة حاولت جمع أحكام وآداب التسامح في الفقه الإسلامي، من حيث إبراز مفهومه وتاريخه وبيان موقف الفقه الإسلامي منه، وبيان خصائصه وضوابطه وآدابه، وآثاره على الأفراد والمجتمعات والدول، وهذا من أبرز الفروق الذي يميز هذه الدراسة عن غيرها.

2- أغلب تلك الدراسات ركزت على جانب التسامح الإسلامي مع غير المسلمين، وبيان موقف الإسلام منه، ولم تبين تلك الدراسات الآداب والضوابط في التسامح مع غير المسلمين، وهذا ما حاولت هذه الدراسة إبرازه وبيان جهود الإسلام في دعوته للتسامح مع كافة أهل الملل والأديان الأخرى.

3- أن هذه الدراسة تميزت كذلك بذكر الموانع المؤثرة على التسامح في الإسلام، والتي كان لها الأثر البارز في تشويه صورة التسامح الإسلامي، أمام الشعوب والأمم والدول الأخرى، والرد على الشبهات المثارة حول التسامح في الإسلام ، وهذا لم تتناوله الدراسات السابقة.

وقد جاءت تقسيمات البحث على النحو الآتي:

المبحث الأول التعريف بمفهوم التسامح وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف التسامح وفيه فرعان:

الفرع الأول: تعريف التسامح لغة:

في اللغة العربية مأخوذ التسامح من الفعل سمح يسمح سماحة، وتطلق السماحة على معاني فهي تأتي بمعنى الجود والكرم يقال رجلاً سمح أي كريم، وتأتي بمعنى السهولة والسلامة في الأمر، وتأتي المسامحة بمعنى العفو والصفح عن الغير يقال سامحني أي إعفو عني وأصفح[1]، وبهذا يظهر أن التسامح في اللغة معانيه واسعة فهو بمعنى الكرم والسخاء وهو بمعنى السهولة واللين في الأمر، وهو بمعنى العفو والصفح وكل هذه المعاني داخلة في المعنى الاصطلاحي العام للتسامح.

الفرع الثاني: تعريف التسامح اصطلاحاً:

هناك تعريفات متعددة للتسامح في الإسلام جاءت على النحو الآتي:

1- تعريف الإمام الطاهر بن عاشور حيث عرف السماحة بقوله (هي سهولة المعاملة في اعتدال، فهي وسط بين التضييق والتساهل، وهي راجعة إلى معنى الاعتدال والعدل والتوسط، أو هي عبارة عن السهولة المحمودة فيما يظن الناس التشديد فيه، ومعنى كونها محمودة أنها لا تفضي إلى ضرر أو فساد) [2].

2- وعرف التسامح في الإسلام بأنه خلق إسلامي يدعو إلى اللين والرفق في التعامل، والرضا بالأمر وتحمل أخلاق الآخرين، ولو كانت خاطئة والتغاضي والتغافل عنها ومحاولة محي آثارها[3].

3- وعرف بعضهم التسامح بقوله (سلوك اجتماعي يقوم به شخص أو اشخاص باحترام آراء الآخرين وافكارهم ومعتقداتهم وتصرفاتهم، ولو لم تكن صائبة والمعاملة معهم بلين ولطف) [4].

4- وهناك من عرف التسامح وربطه بقضية التعامل مع غير المسلمين فقال (هو التعامل مع غير المسلم وفق الحكمة واللين والمعروف، سواء في ذلك التعامل في الخطاب أو في مطلق التصرف) [5].

ومن خلال التعريفات السابقة للتسامح نستنتج ما يلي:

1- أن التعريفات السابقة متعددة الاتجاهات وهذا راجع إلى اختلاف نظر كل باحث.

2- أن التعريفات السابقة على اختلاف الفاظها، فهي تشترك بمعنى عام للتسامح وهي معاملة الآخرين بسهولة ولين.

3- ممكن أن نضع تعريفاً مختاراً للتسامح في الإسلام فنقول هو عبارة عن سلوك اجتماعي وخلق إسلامي، يقوم به شخص أو أشخاص يهدف إلى معاملة الآخرين برفق ولين وسهولة وسخاء نفس، وتغاضي عن الاخطاء والعفو والصفح عنها، وتتم هذه المعاملة وفق الضوابط والآداب الإسلامية.

المطلب الثاني: تاريخ التسامح في حياة البشرية وفيه فرعان:

الفرع الأول: التسامح في العصور الماضية:

---

(1) أنظر لسان العرب، ابن منظور مادة سمح، 355/6، وانظر المصباح المنير، الفيومي، سمح، 288.

(2) مقاصد الشريعة، الطاهر بن عاشور، 60.

(3) انظر الأخلاق الإسلامية، عبدالرحمن حسن الميداني، 457/2.

(4) الموسوعة الفلسفية العربية، معهد النماء العربي، 253/1.

(5) الثقافة والعالم الآخر، عبدالله الطريقي، 58.

التسامح خلق عظيم يبني العلاقات ويقوي الصلات، ويمد جسور التواصل مع الآخرين، ويجعل الإنسان مرتبطاً بخالقه، كلما حصل منه خطأ أو زلل رفع أكف الضراعة إلى الله تعالى يسأله العفو والمسامحة، وإن حصل الخطأ على الآخرين يسألهم الصفح والمسامحة، وقد أدرك انبياء الله ورسله أهمية خلق التسامح، فهذا آدم عليه السلام يلجأ إلى الله تعالى حينما اخطأ هو وزوجته وأكلا من الشجرة التي نهاهما الله تعالى عنها، فطلب من الله العفو والمسامحة يقول الله تعالى: (قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ الأعراف: ٢٣

سورة الأعراف: الآية 23، وهذا نوح عليه السلام يسأل الله العفو والمغفرة والمسامحة يقول الله تعالى عنه: (قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ هود: ٤٥ ـ ٤٦

سورة هود: الآية 45، 46، وفي آيات أخرى يخبرنا الله تعالى عن تسامح يوسف عليه السلام مع أخوته حينما اخطأوا عليه وظهر لهم الحق طلبوا من يوسف عليه السلام العفو والمسامحة يقول الله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓا۟ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾ يوسف: ٨٩ ـ ٩٢، ويقول الله تعالى عن نبيه موسى عليه السلام حينما دعا الله تعالى ويسأله العفو والمسامحة له ولمن معه من بني إسرائيل قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّىَّ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّا ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ الأعراف: ١٥٥، فمن خلال هذا العرض التاريخي يظهر لنا أن التسامح له جذور تاريخية عميقة مع الإنسان الأول على مر العصور الماضية[1].

الفرع الثاني: التسامح في عصر الإسلام:

لقد توارثت الأجيال والأمم الأخلاق والقيم والمبادئ، ومنها خلق التسامح الذي يعد من أعظم الأخلاق الإنسانية النبيلة، وكانت العرب في الجاهلية قبل الإسلام يثنون على صاحب السماحة والرفق واللين والكرم والسخاء، يقول شاعرهم النابغة الذبياني في مدحه للنعمان ابن المنذر ويطلب منه العفو والمسامحة ويثني عليه بذلك بقوله:

فإنك شمس والملوك كواكب،،، إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

ولست بمستبق أخا لا تلمه،،، على شعث أي الرجال المهذب

(1) انظر قصص الأنبياء، ابن كثير، 13.

فإن أك مظلوماً فعبد ظلمته،،، وإن تك ذا عتبى فمثلك يعتب[1].

فالسماحة خلق من أخلاق العظماء، فكانت العرب في الجاهلية تثني على أصحاب السماحة، ولما شع نور الإسلام وظهرت دعوته وأحكامه التي تدعو إلى إتمام مكارم الأخلاق الفاضلة والدعوة إليها والحث على التحلي بها كما قال النبي ﷺ (إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق)[2]، فمن الأخلاق الفاضلة التي دعى إليها الإسلام خلق التسامح[3] يقول الله تعالى آمراً نبيه ﷺ بهذا الخلق العظيم (ٱلشَّيۡطَانِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَانِ ٱلرَّجِيمِ)، سورة الأعرف: الآية 199، يقول الشيخ عبدالرحمن السعدي في تفسيره لهذه الآية (هذه الآية جامعة لحسن الخلق مع الناس وما ينبغي في معاملتهم، فالذي ينبغي أن يعامل به الناس أن يأخذ العفو أي ما سمحت به أنفسهم، وما سهل عليهم من الأعمال والأخلاق فلا يكلفهم ما لا تسمح به طبائعهم، بل يشكر من كل أحد ما قابله به من قول وفعل جميل، أو ما هو دون ذلك، ويتجاوز عن تقصيرهم ويغض طرفه عن نقصهم ويعامل الجميع باللطف والمقابلة، بما تقتضيه الحال وتنشرح له صدورهم)[4]، وقد امتثل النبي ﷺ لأمر ربه فكان التسامح بكل معانيه ومقاصده منهج نبوي كريم سار عليه وامتثل له في كل تاريخ حياته في العهدين المكي والمدني، وسوف نستعرض صور ونماذج من تسامح النبي ﷺ في العهدين على ما يلي:

أ- نماذج من تسامح النبي ﷺ في العهد المكي:

لقد مكث النبي ﷺ بمكة بعد البعثة ثلاث عشرة سنة، يدعو الناس إلى التوحيد وإلى عبادة الله وحده لا شريك له، ويحذرهم من الشرك وعبادة الأصنام والأوثان، وقد لاقى النبي ﷺ في مسيرته الدعوية بمكة صنوف وأنواع الأذى من قومه، فقد آذوه بالقول والفعل، ووضعوا سلا الجزور والأوساخ على ظهره الشريف وهو ساجد عند الكعبة[5]، بل أعظم من ذلك تآمرهم على قتله ، ولكن الله تعالى حماه ووقاه من مكرهم، ومع كل هذه الاساءات والاعتداءات التي كان النبي ﷺ يواجهها من المشركين والمخالفين بمكة، إلا أنه كان ﷺ يتعامل معهم بخلق التسامح، فكان يذهب إلى أسواقهم وأنديتهم ومجامعهم ومحافلهم وفي المواسم ليدعوهم إلى الإسلام، فقد روى ربيعة الديلي قال رأيت رسول الله ﷺ قبل أن أسلم في الجاهلية وهو في سوق ذي المجاز يتبع الناس في منازلهم يدعوهم إلى الله تعالى[6]، ومن مظاهر سماحته ﷺ لما كان في مكة حضوره لتحالفات ومعاهدات الإصلاح التي كانت بين المشركين وذلك انهم تحالفوا على نصرة المظلوم وإغاثة الملهوف في دار ابن جدعان، فحضر النبي ﷺ هذا الحلف وأثنى عليه فيما بعد وقال (لقد شهدت في دار عبدالله بن جدعان حلفاً لو دعيت به في الإسلام لأجبت)[7]، فهذه النماذج تدل على اتصاف النبي ﷺ بخلق التسامح في تعامله مع المشركين لما كان في مكة، وكان يهدف من سماحته معهم إلى مقصد عظيم هو تأليفهم والتشوف إلى دخولهم في دين الإسلام[8].

ب- نماذج من تسامح النبي ﷺ في العهد المدني:

(1) انظر جواهر الآدب، السيد أحمد الهاشمي، 352.

(2) أخرجه أحمد في مسنده، مسند ابي هريرة رضي الله عنه حديث رقم 8939.

(3) انظر التسامح في الإسلام، شوقي أبو خليل، 28.

(4) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، 639/1.

(5) أخرجه مسلم في صحيح كتاب الجهاد والسيرة، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين، حديث رقم 3453.

(6) أخرجه ابن كثير في البداية والنهاية، باب الأمر بإبلاغ الرسالة، 39/3.

(7) أخرجه ابن كثير في البداية والنهاية، باب في شهوده عليه الصلاة والسلام حرب الفجار، 270/2.

(8) انظر سماحة الإسلام في الدعوى إلى الله، عبدالعظيم المطعني، 18.

لما جاء النبي ﷺ مهاجراً إلى المدينة المنورة، وبنى فيها مسجده الشريف وأسس الدولة الإسلامية، وشرعت كثير من الأحكام والتعاليم والآداب، ودخل الناس في دين الله أفواجا، وكان بالمدينة قبائل من اليهود، هذا بالإضافة إلى وجود المنافقين الذين دخلوا في الإسلام كرهاً له وابطاناً لكفرهم، ومع اختلاف هذه الفئات، إلا أن النبي ﷺ كان يتعامل مع الجميع بخلق التسامح الذي اتصف به، فمن مظاهر تسامحه ﷺ مع المسلمين، لما أرسل حاطب ابن بلتعة خطاب إلى أهل مكة، يخبرهم بأن النبي ﷺ قد عزم على غزو مكة، فبعث النبي بعض أصحابه من يأتي بالخطاب، قبل وصوله إلى أهل مكة، فاحضروه فقال النبي ﷺ لحاطب ما هذا؟ فقال يا رسول الله لا تعجل عليّ إني أحببت أن اتخذ عند أهل مكة يداً، يحمون بها قرابتي، ولم افعله ارتداداً عن ديني، ولا رضا بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله ﷺ أما إنه قد صدقكم، فقال عمر يا رسول الله دعني اضرب عنق هذا المنافق؟ فقال النبي ﷺ (لا يا عمر إنه قد شهد بدراً وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم)[1]، فهذا موقف عظيم من مواقف تسامح النبي ﷺ مع أصحابه فقد كان هذا الصحابي ينوي اطلاع العدو على أسرار الدولة فلما اطلع الله نبيه على هذا الأمر، فما كان منه إلا أن واجهه بخلق التسامح، ومن مظاهر سماحته ﷺ مع المنافقين، فقد كان الناس مع النبي ﷺ في غزوة خارج المدينة فكسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار، فقال الأنصاري يا للأنصار، وقال المهاجرين يا للمهاجرين، فقال لهم رسول الله ﷺ دعوها فأنها منتنة، فقال عبدالله بن أبي سلول لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فقال عمر رضي الله عنه دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق؟ فقال النبي ﷺ (دعه لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل اصحابه) [2]، فقد اساء هذا المنافق إلى النبي ﷺ ووصفه بوصف لا يليق به، ومع ذلك تعامل معه النبي ﷺ بخلق التسامح وعفى عنه وهو يهدف بذلك إلى هدف عظيم وهو حفظ أركان الدولة وقوامها، ومن مظاهر سماحته ﷺ مع أهل الكتاب من اليهود فقد كان يتعايش معهم ويتعامل معهم بالبيع والشراء وقبول الهدية ويعاملهم باللين والرفق والمسامحة[3]، والهدف من ذلك هو التشوف لدخولهم في دين الإسلام ودعوتهم إليه.

المبحث الثاني: مشروعية التسامح في الفقه الإسلامي وفيه مطالب:

المطلب الأول: مشروعية التسامح في القرآن الكريم:

يعد القرآن الكريم هو المصدر التشريعي الأول، لإصدار الأحكام والتعاليم والآداب في الإسلام، وقد جاء القرآن الكريم يدعو إلى خلق التسامح في مظاهر وصور متعددة فمن ذلك:

2- الأمر الإلهي الكريم في القرآن الموجه إلى النبي بأن يتحلى بخلق التسامح والصفح والمسامحة فقد جاء هذا الأمر في آيات عديدة يقول الله تعالى: **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ آل عمران: 159، ويقول تبارك وتعالى **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ ﴾ الحجر: ٨٥ ويقول جل وعلا **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ الزخرف: ٨٩

ولأمته من بعده.ﷺ أعظم خلق وهو خلق التسامح، وهذا الأمر الإلهي للنبي ﷺ ، فالله تعالى اختار لنبيه

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي / باب غزوة الفتح، حديث رقم 4274.

(2)أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير / باب تفسير قوله تعالى لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، حديث رقم 4907.

(3) أنظر حقوق غير المسلمين في بلاد الإسلام صالح العايد، 81.

2- أن القرآن الكريم دعا المسلم إلى التحلي بخلق التسامح وحث عليه ورغب به، يقول الله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ ﴾ البقرة: ١٠٩ سورة البقرة: الآية 109، يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية (يأمر الله تعالى عباده المؤمنين بالصفح والعفو والاحتمال حتى يأتي أمر الله من النصر والفتح)[1].

3-أن القرآن الكريم رتب الجزاء العظيم والأجر والثواب الجزيل، على من يتحلى بخلق التسامح ويعفو ويصفح، يقول الله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ ﴿٤٠﴾ ﴾ الشورى: ٤٠

، يقول الشيخ عبدالرحمن السعدي عند تفسيره لهذه الآية (أي رتب الله تعالى على العفو عن المسيء والصفح عنه، ثواباً جزيلا وسوف يجزيه اجرا عظيما وثوابا كبيرا، وفي جعل أجر العافي على الله، ما يهيج على العفو وأن يعامل العبد الخلق، بما يحب أن يعامله الله به، فكما يحب أن يعفو الله عنه، فليعف عنهم، وكما يحب أن يسامحه الله فليسامحهم فإن الجزاء من جنس العمل)[2]، فمن يتعامل مع الناس بخلق التسامح ، فإن الله تعالى سوف يجازيه بجنس عمله ويعامله بالمغفرة والمسامحة، يقول الله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾ التغابن: ١٤

المطلب الثاني: مشروعية التسامح في السنة النبوية:

السنة النبوية هي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، وقد جاءت السنة النبوية تدعو إلى خلق التسامح في أحاديث كثيرة من قول النبي ﷺ ومن فعله، وظهر ذلك في مظاهر متعددة جاءت على النحو الآتي:

1- أن السنة النبوية حثت المسلم على التحلي بمكارم الأخلاق عموماً، ورغبته إلى اكتساب الأخلاق والآداب الفاضلة، يقول النبي ﷺ (إن من أحبكم إلي واقربكم مني مجلساً يوم القيامة احاسنكم اخلاقا)[3]، ومن الآداب والأخلاق الكريمة التي دعت إليها السنة النبوية، خلق التسامح والرفق واللين والسهولة والسماحة ، يقول النبي ﷺ (إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانة ولا ينزع عن شيء إلا شانه)[4]، كما أن السنة النبوية رتبت الجزاء العظيم والأجر الجزيل، لمن تحلى بخلق التسامح، يقول النبي ﷺ (حرم على النار كل هين لين سهل قريب من الناس)[5]، فالسنة النبوية جاءت ترغب المسلم وتحثه بالتحلي بخلق التسامح في تعامله مع الناس، وذلك لما له من الآثار العظيمة[6].

(1) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، 386/1.

(2) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، 616/2.

(3) اخرجه الترمذي في سننه، كتاب أبواب البر والصلة، باب ما جاء في معالي الأخلاق، حديث رقم 218.

(4) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب فضل الرفق، حديث رقم 2594.

(5) أخرجه أحمد في مسنده، مسند عبدالله بن مسعود، حديث رقم 3938.

(6) أنظر الأخلاق الإسلامية، عبدالرحمن الميداني، 459/2.

2- أن السنة النبوية شرعت كثير من الأحكام الشرعية التي يظهر فيها التيسير والتسهيل والسماحة والرفق بالناس، وعدم المشقة عليهم ومراعاة أحوالهم وحاجاتهم، مثل جواز المسح على الخفين والعمامة في حال الوضوء، تخفيفاً من المشقة في نزعهما، وجواز قصر الصلاة وجمعها للمسافر، وإباحة الفطر في رمضان للمسافر فعن حمزة ابن عمرو السلمي رضي الله عته أنه قال يا رسول الله إني أجد بي قوة على الصيام في السفر؟ فقال رسول الله ﷺ (هي رخصة من الله فمن أخذ بها فحسن، ومن أحب أن يصوم فلا جناح عليه)[1]، فهذه الأحكام الشرعية وغيرها يظهر فيها السماحة والتيسير للناس ومراعاة أحوالهم وحاجاتهم والتخفيف والتسهيل عليهم، وهذا مقصدا عظيم من مقاصد الشريعة الإسلامية السمحة[2].

3- أن السنة النبوية أباحت إجراء المعاملات والبيع والشراء وتبادل المنافع مع غير المسلمين من أصحاب الملل والأديان الأخرى، وهذا من باب التيسير والتسهيل على المسلمين ورفع الحرج عنهم، فقد ثبت في السنة أن النبي ﷺ باع واشترى مع المشركين فعن عبدالرحمن بن أبي بكر رضي الله عنه قال كنا مع النبي ﷺ فجاء رجل مشرك بغنم يسوقها فقال له النبي ﷺ (ابيعا أم عطية؟ فقال لا بل بيع، فاشترى منه شاة) [3]، كما ثبت في السنة أن النبي ﷺ استأجر رجلاً من المشركين ليدله على الطريق في هجرته من مكة إلى المدينة [4]، وأيضاً تسامح النبي ﷺ بإجراء المعاملات مع أهل الكتاب فقد باع واشترى مع يهود المدينة تقول عائشة رضي الله عنها (لقد اشترى رسول الله صلى عليه وسلم من يهودي طعاما إلى أجل ورهن درعه) [5]، كما تسامح النبي ﷺ معهم وقبل هداياهم واثابهم عليها يقول سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه (خرجنا مع رسول الله ﷺ غزوة تبوك فاتينا وادي القرى، فجاء إلينا رسول ابن العلماء صاحب أيلة إلى رسول الله ﷺ بكتاب، وأهدى له بغلة بيضاء، فكتب إليه رسول الله وأهدى له بردا) [6]،)، والأمثلة عديده في تسامح النبي ﷺ مع المشركين ومع أهل الكتاب ، لأن التسامح مفتاح لتحقيق مقاصد شرعية جليلة، ويصل إلى أهداف وغايات نبيلة، كما أنه وسيلة من الوسائل الدعوية والدعوة إلى دين الإسلام[7].

المطلب الثالث: مشروعية التسامح في عهد الخلفاء الراشدين:

لقد اتسم عهد الخلفاء الأربعة الراشدين رضي الله عنهم بأنه استمرارا لمنهج النبوة الذي خطه لهم النبي ﷺ في كافة مجالات الحياة، وقد حفظ لنا التاريخ نماذج مشرقة من صور سماحة الخلفاء الراشدين فمن ذلك:

1- سماحة الخليفة الصديق أبو بكر رضي الله عنه، فهو مثال في السماحة والعفو والصفح عن الناس والقرابات وحفظ الود والصلات الاجتماعية، ويظهر هذا جلياً في قصة حادثة الأفك، التي تحدث الناس بها وكان من بينهم مسطح بن أثاثة، وكان فقيراً وينفق عليه أبو بكر رضي الله عنه لقرابته منه، فلما نزلت براءة عائشة رضي الله عنها، حلف أبو بكر أن لا ينفق على مسطح ولا ينفعه بشيء، فانزل الله عز وجل **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ النور: ٢٢

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب التخيير في الصوم والفطر في السفر، حديث رقم 1121.

(2) أنظر سماحة الإسلام، عبدالله اللحيدان، 8.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب الشراء والبيع مع المشركين، حديث رقم 2216.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإجارة، باب استئجار المشركين عند الضرورة، حديث رقم 2263.

(5) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرهن، باب الرهن عند اليهود، حديث رقم 2513.

(6) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب في معجزات النبي ﷺ، حديث رقم 1392.

(7) أنظر تعامل النبي ﷺ مع غير المسلمين، محمد الزير، 129.

1- فبكى أبو بكر رضي الله عنه، وقال بلى والله يا ربنا إنا لنحب أن تغفر لنا، وعاد له بما كان يصنع[1]، فرغم عظم هذه الإساءة وشناعتها التي لحقت بأبي بكر رضي الله عنه من رجل كان يسدي إليه معروف وهو من قرابته، إلا أن الصديق رضي الله عنه قد تخلق بخلق التسامح فعفى عنه، وأعاد ما كان ينفق عليه .

2- سماحة الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فلقد كان عمر رضي الله عنه إمام في العدل وقوة في الحكم والحق، وهو مع ذلك عمر الفاروق المتسامح صاحب الشيم والأخلاق والعفو والمسامحة، حتى مع غير المسلمين من أهل الملل والأديان الأخرى، وذلك حينما وضع الجزية عن اليهودي الكبير في السن، وتسامح عنه، فقد جاء في الأثر أن عمر رضي الله عنه مر على شيخ كبير في السن من أهل الذمة يسئل الناس، فقال له عمر من أي أهل الكتاب أنت؟ فقال يهودي، فقال له عمر فما الذي الجأك إلى ما أرى؟ فقال الجزية والحاجة والسن، فقال عمر ما انصفناك إن كنا أخذنا منك الجزية في شبيبتك، ثم ضيعناك في كبرك، ثم أمر خازن بيت المال أن يضع عنه الجزية وأجرى عليه من بيت المال ما يصلحه[2]، ففي هذا الموقف العظيم تتجلى معاني عديدة في سماحة عمر رضي الله عنه بعدله ورحمته وسماحته مع هذا اليهودي الكبير في السن، فما كان منه إلا أن عامله بخلق التسامح ووضع عنه الجزية وأكرمه، وهذا علو في تسامح الفاروق رضي الله عنه.

3- سماحة الخليفة ذي النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه، فلقد اشتهر عثمان رضي الله عنه بالكرم والجود والسماحة والسخاء، وهذه من أعظم معاني التسامح، فقد قدم عثمان رضي الله عنه ماله فداء لنصرة الإسلام وقضايا المسلمين، جاد وسخى بالأموال حتى نال شرف ثناء رسول الله ﷺ عليه، فعثمان هو من جهز جيش العسرة، وهكذا يبذل عثمان ماله بكل سماحة وسخاء لينفع المسلمين، فقد ثبت في الأثر أنه اشترى بئر روما وتصدق بها على المسلمين، كما اشترى بماله داراً قريبة من المسجد، ليوسع بها مسجد النبي ﷺ على المسلمين[3]، ولم يتوقف سخاء وسماحة عثمان عند هذا الحد بل وصل كرمه وسماحته على غير المسلمين، فقد جاء في الأثر أن عثمان بن عفان رضي الله عنه كان يعطف على شاعر نصراني يقال له أبو زبيد[4]، وهذا موقف عظيم من سماحة وكرم عثمان رضي الله عنه صاحب الأيادي البيضاء والكرم والسماحة والسخاء.

4- سماحة الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فلقد كان له مواقف مشرفة في التسامح منها تسامحه مع الخوارج الذين خرجوا عليه، ثم تابوا ورجعوا فقد عفى وصفح عنهم، فقد جاء في الأثر أن علياً رضي الله عنه لما كاتب معاوية وحكم الحكمان خرج عليه قوم من حبيشة يطالبون بخلعه، فأرسل إليهم عبدالله بن عباس ليناظرهم ويدعوهم، فرجع منهم خلق كثير وتابوا، وتسامح وعفى عنهم علي رضي الله عنه وصفح عنهم[5]، فمع عظم هذا الخطأ الكبير الذي صدر من هؤلاء، إلا أنه لاقى خلقا أعظم منه، من الخليفة علي رضي الله عنه وهو التسامح والعفو عنهم.

المبحث الثالث: خصائص التسامح في الفقه الإسلامي

لقد اتسم التسامح في الإسلام بسمات فريدة وخصائص عديدة من أبرزها ما يلي:

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب تفسير قول الله تعالى (إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين أمنوا)، حديث رقم 4757.

(2) أخرجه الإمام أبي عبيد القاسم بن سلام، في كتاب الأموال، باب اجتباء الجزية، حديث رقم 48/119.

(3) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب المناقب، باب مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه، حديث رقم 3703.

(4) أنظر سماحة الإسلام، عمر قريشي، 31.

(5) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند علي بن أبي طالب رضي الله عنه، حديث رقم 656.

1- أن التسامح في الإسلام يحقق منهج الوسطية والاعتدال في التعامل مع الآخرين، فلا افراط ولا تفريط، ولا غلو ولا جفاء في الإسلام، وذلك لأن الإسلام ينطلق من مرتكزات وأسس عظيمة ومنها العدل، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ ﴿٩٠﴾ ﴾ النحل: ٩٠ ، ومنها مراعاة المصالح ودرء المفاسد، ومنها إزالة الضرر ودفعه عن الآخرين، يقول النبي ﷺ (لا ضرر ولا ضرار) [1]، فالتسامح في التعامل مع الآخرين يحقق مقصداً عظيماً ألا وهو الوسطية والاعتدال، والموازنة في المعاملة مع الخلق.

2- أن التسامح في الإسلام يحقق الأمن والسلام على كافة المستويات، وفي كل الأصعدة وبين كافة الأمم والشعوب والدول، فالتسامح يحقق الأمن الوطني داخل الدولة الواحدة، وينعم كافة المواطنين والمقيمين على اختلاف أجناسهم وأديانهم بنعمة الأمن والأمان، حيث يتعامل الجميع مع بعضهم البعض بكل تسامح، كما أن التسامح يحقق الأمن الدولي بين المجتمعات الدولية بحيث تتعاون كافة الدول بالسماحة والتيسير، والوفاء بالمواثيق والمعاهدات، وتسهيل إجراءاتها لكي تحقق مقاصدها التي نشأت من أجلها، فاصبح التسامح محققاً للأمن والسلم الدوليين المنشودين.

1- أن التسامح في الإسلام شامل لكل جوانب الحياة الإنسانية، والدينية والسياسية والعسكرية والتجارية والاجتماعية والأسرية وغيرها، كما أن التسامح في الإسلام عام مع كل البشر على اختلاف ألوانهم واجناسهم وأديانهم، فالتسامح في الإسلام مع كافة البشرية لأن رسالة الإسلام رسالة عالمية لكل الناس[2]،كما أن التسامح في الإسلام يلغي أفكار الجاهلية القائمة على العنصرية والطبقية، ويجعل الناس كلهم في التعامل على حد سواء، يقول النبي ﷺ (يا أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد إلا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا أحمر على أسود إلا بالتقوى) [3].

2- أن التسامح في الإسلام يحقق المبادئ السامية العليا، والأخلاق الفاضلة الحسنة، فالتسامح يحقق العدل والمساواة بين الناس، والتسامح يحقق البر والإحسان للخلق، والتسامح يحقق الرحمة للإنسانية، يقول النبي ﷺ (الراحمون يرحمهم الرحمن أرحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء) [4]، فالتسامح في الإسلام تظهر فيه الرحمة للإنسانية، وتظهر فيه الامتثال للقيم الفاضلة والأخلاق الحسنة النبيلة التي دعت إليها الشريعة الإسلامية[5].

المبحث الرابع: مظاهر وصور التسامح في الفقه الإسلامي:

لقد اتسم التسامح في الإسلام بأنه شامل لجميع جوانب الحياة الإنسانية ، وهذا الشمول والعموم للتسامح الإسلامي جعله فريداً ومختلفاً عن غيره، يحمل في طياته الرحمة واليسر والتخفيف على العباد، والعدل والمساواة والتعايش فيما بينهم، ولذا سوف نتحدث عن أبرز مظاهر وصور ومجالات التسامح في الإسلام على ما يلي:

المطلب الأول: التسامح الديني:

بأشرف رسالة وأسمى شريعة، وجعل شريعة الإسلام هي الرسالة الخالدة والناسخة لما قبلها، ﷺلقد بعث الله تعالى نبيان محمد قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ ﴾ آل عمران: ١٩ ، ولما كان الإسلام هو آخر الأديان، فقد خصه الله تعالى

(1) أخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب الأحكام، باب من بنى في حقه ما يضر بجاره، حديث رقم 2341.

(2) أنظر أصول الدعوة، عبدالكريم زيدان، 52.

(3) أخرجه أحمد في مسنده، باب مسند الأنصار، حديث رجل من أصحاب النبي ﷺ، حديث رقم 23885.

(4) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة الناس، حديث رقم 1924.

(5) أنظر دعوة تسامح الغرب مع المسلمين في العصر الحاضر، عبداللطيف الحسين، 52.

بالكمال والشمول في كل مجالات الحياة، كما جعله الله دين الوسطية والاعتدال، ودين التسامح والرحمة للعباد، وتظهر صور التسامح الديني فيما يلي:

1- من صور التسامح الديني، أن الإسلام جاء برفع الحرج والمشقة عن المسلمين، حيث أباح الإسلام لهم الأخذ بالرخص في العبادات في حال المشقة، فمن ذلك اباح الإسلام التيمم يقول الله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ ﴿٤٣﴾ ﴾ النساء: ٤٣ (صل قائماً ﷺ، كما أباح الإسلام قصر الصلاة الرباعية للمسافر وجمعها، وأباح للمريض الصلاة على حسب حاله تخفيفاً عنه يقول فإن لم تستطع فقاعداً فإن لم تستطع فعلى جنب)[1]، كما شرع الإسلام صلاة الخوف في حال المعركة والقتال إلى غير ذلك من أحكام العبادات التي تظهر فيها سماحة الإسلام وعنايته بالعباد، ورفع الحرج والمشقة عنهم ومراعاة أحوالهم وحاجاتهم[2].

2- من صور التسامح الديني مع غير المسلمين، أن الإسلام هو الشريعة الباقية ولن يقبل الله من أحد غير دين الإسلام كما قال تعالى:(قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ آل عمران: ٨٥، ومع وجود هذه المرتكزات والأسس وغيرها في الإسلام، إلا أن الإسلام لم يكره أحداً من أهل الملل والأديان الأخرى إلى الدخول فيه، يقول تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ ﴿٢٥٦﴾ ﴾ البقرة: ٢٥٦، فالإسلام تسامح مع أهل الملل والأديان، ولم يجبر أحداً منهم للدخول فيه، بل دعا وحث ورغب في الدخول في الإسلام، وجعل للإنسان الخيار فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، ومن كفر يتحمل مسؤولية أعماله يوم القيامة[3]، يقول الله تعالى قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ ﴾ آل عمران: ٢٠

3- من سماحة الإسلام الدينية مع الديانات السماوية الأخرى، أن الإسلام جاء بالإيمان بكافة الأنبياء والرسل الذين أرسلهم الله إلى الأمم الماضية، كنوح وموسى وعيسى وغيرهم عليهم الصلاة والسلام، كما جاء الإسلام بالإيمان بما أنزل الله عليهم من الكتب السماوية كالتوراة والإنجيل، يقول الله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ البقرة: ٢٨٥، فالإسلام دعا إلى الإيمان بالأنبياء والرسل والكتب السابقة، وإلى احترامها وعدم الإساءة لها، يقول الله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾ النساء: ١٣٦، وهنا ينبغي الإشارة إلى مسألة مهمة، وهي أننا نحن المسلمون نؤمن بالكتب السماوية السابقة التي أنزلها الله تعالى على أنبياءه في زمن الأنبياء، أما الكتب التي هي

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التقصير، باب إذا لم يطق قاعداً صلى على جنب، حديث رقم 1117.

(2) أنظر سماحة الشريعة في التعامل مع الواقع، عبدالرحمن الزنيدي، 117.

(3) أنظر أحكام التعايش مع غير المسلمين، مصطفى القبيسي، 29.

موجودة اليوم بيد اليهود والنصارى فلا نؤمن بها لأن الله تعالى أخبرنا بأنها محرفة ومبدلة من لدنهم[1]، يقول الله تعالى **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴿١٣﴾ ﴾ المائدة: ١٣

ولقد شاءت حكمة الله تعالى أن يبقى كتاب الإسلام القرآن الكريم محفوظاً من التبديل والتحريف يقول الله تعالى: **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ الحجر: ٩

4-من سماحة الإسلام الدينية احترام المقدسات ودور العبادة لغير المسلمين من أهل الملل والأديان الأخرى، وعدم الإساءة إلى معبوداتهم، وذلك لأن المسلم لو قام بالإساءة إلى شعائر ومقدسات غير المسلمين، فهذا ذريعة لهم لكي يأخذوا بثأرهم فيسبوا الله تعالى ، فسداً للذريعة نهى الإسلام المسلمين عن سب آلهة ومعبودات غيرهم[2]، يقول الله تعالى: **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَلَا ﷺ أو يسبوا رسوله تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴿١٠٨﴾ ﴾ الأنعام: ١٠٨ ومن سماحة الإسلام عدم الاعتداء على دور العبادة القائمة لأهل الملل والأديان،

كان يوصي أمراء الجيوش عند إرسالهم أن لا يهدموا صومعة ولا كنيسة ولا داراً للعبادة يقول ابن عباس ﷺفقد ثبت في السنة أن النبي إذا بعث جيوشه قال لهم أخرجوا باسم الله وقاتلوا في سبيل الله، ولا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا ﷺرضي الله عنهم (كان الرسول الولدان ولا أصحاب الصوامع)[3].

المطلب الثاني: التسامح الدولي:

تعيش الدولة الإسلامية في منظومة العلاقات الدولية التي تحوي جميع دول العالم، ويحكم هذه العلاقات المعاهدات والاتفاقيات والأعراف والمبادئ الدولية، وتظهر صور التسامح الدولي في الإسلام في مجال العلاقات الدولية بما يلي:

1-من سماحة الإسلام في مجال العلاقات الدولية أن أباح للدولة الإسلامية إجراء المعاهدات والاتفاقيات مع الدول الأخرى يقول الله تعالى: **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴿٦١﴾ ﴾ الأنفال: ٦١

فهذا مظهر من مظاهر سماحة الإسلام هو التسامح مع الدول الأخرى بإجراء المعاهدات والاتفاقيات معها وتبادل المصالح المشتركة بين الدول.

2-من سماحة الإسلام في مجال العلاقات الدولية أن ألزم الدولة الإسلامية بالوفاء بالمعاهدات والاتفاقيات التي تعقدها مع الدول الأخرى، يقول الله تعالى: **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ ﴾ الإسراء: ٣٤

وفي مقابل ذلك يحرم الإسلام على الدولة الإسلامية نقض المعاهدات والعقود التي اجرتها مع الدول الأخرى، ويحذر الإسلام من الغدر والخيانة يقول الله تعالى: **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾ سورة الأنفال: الآية 58،

---

(1) أنظر شرح العقيدة الوسطية، ابن عثيمين، 65/1.

(2) أنظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، 532/1.

(3) أخرجه أحمد في مسنده، مسند عبدالله بن عباس، حديث رقم 2728.

3-من سماحة الإسلام في مجال العلاقات الدولية، أكرام الوفود والرسل والسفراء والمبعوثين الدوليين، واحترام الأعراف الدولية في التمثيل الدبلوماسي، وحماية البعثات الدبلوماسية، فقد ثبت في السنة أن النبي ﷺ، أرسل الرسل لملوك الدول وخاطبهم، واستقبل الوفود والسفراء وأكرمهم واحتفى بهم، وقبل هداياهم واثابهم عليها، كما في قصة رسول ملك إيليه (لما كان النبي ﷺ في غزوة تبوك حيث جاء رسول ملك إيليه إلى رسول الله بكتاب وأهدى له بغلة بيضاء فكتب له النبي ﷺ واهدى له بردا) [1]، ومن صور التسامح الإسلامي مع السفراء والمبعوثين الدوليين والدبلوماسيين، منحهم الحماية والحصانة في ظلال الدولة الإسلامية، فقد جاء في السنة في قصة حديث رسل مسيلمة الكذاب أن النبي ﷺ قال لهم (ما تقولان أنتما في مسيلمة؟ فقالا نقول كما قال ونشهد أنه رسول يوحى إليه، فقال رسول الله ﷺ: والله لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما) [2]، فهذه أمثلة شاهدة على تسامح الإسلام في مجالات العلاقات الدولية والتي تهدف إلى إقامة جسور التعاون مع الدول الأخرى وتبادل المصالح المشتركة والرغبة في التعايش السلمي مع المجتمع الدولي.

المطلب الثالث: التسامح السياسي:

الدولة الإسلامية لها قائد وإمام وولي أمر للمسلمين يرعى مصالحهم ويحفظ حقوقهم، ويقيم فيهم شعائر الله وحدوده داخل محيط الدولة الإسلامية، ويتعامل مع رعيته بالأخلاق الفاضلة والقيم النبيلة، فقد جاءت نصوص كثيرة تحث ولاة الأمر وتدعوهم إلى العفو عن المخطئ من الرعية والصفح عنه ومسامحته، إذا كانت الأخطاء لا تتعلق بحقوق العباد والآخرين، يقول الله تعالى لنبيه ﷺ **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ سورة آل عمران: الآية 159، وقد امتثل لأمر ربه تعالى، فكان يعفو عن الرعية ويسامحهم ويصفح عنهم، بصفته رئيس وقائد الدولة الإسلامية، جاء ذلك في قصص ﷺالنبي ذهب يزور سعد بن عبادة، وهو راكب على دابته، ففي الطريق مر على مجلس فيه أخلاط من ﷺوحوادث كثيرة، (منها أن النبي المسلمين والمشركين واليهود، وفيهم عبدالله بن أبي سلول، فلما غشيت المجلس عجاجة الدبابة خمر بن أبي سلول أنفه بردائه، ثم قال لا تغبروا علينا، فسلم عليهم رسول الله ثم نزل يدعوهم للإسلام، فقال له ابن ابي سلول أيها المرء أرجع إلى رحلك ولا تؤذنا في مجالسنا، دابته، فسار حتى دخل على سعد بن عبادة، فقال له (يا سعد ألم تسمع إلى ما قال أبو الحباب؟ فقال له سعد بن ﷺفركب النبي مع الرعية وعفوه عنهم، ما جاء في ﷺ) [3]، ومن مواقف سماحته ﷺعبادة، يا رسول الله أعفو عنه واصفح عنه، فعفى عنه رسول الله بعض الأشراف والأسياد من الغنائم يتألف قلوبهم، فقام رجل وقال والله إن هذه ﷺقصة توزيع الغنائم بعد غزوة حنين، فقد أعطى النبي وقال (فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله، رحم الله موسى لقد أوذي بأكثر ﷺقسمة ما عدل فيها وما أريد بها وجه الله، فغضب النبي للقادة والأئمة من بعده، المنهج في ﷺ مع الرعية كثيرة وهو بهذا القدوة والأسوة ويرسم ﷺمن هذا فصبر) [4]، والأمثلة في عفوه وسماحته التعامل والتسامح مع الرعية.

(1) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الفضائل، باب في معجزات النبي ﷺ، حديث رقم 1392.

(2) أخرجه أحمد في مسنده من حديث نعيم بن مسعود، حديث رقم 15989.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب تفسير قوله تعالى (ولا تسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا)، حديث رقم 4566.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فرض الخمس، باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم، حديث رقم 3150.

المطلب الرابع: التسامح المالي والتجاري:

يعتبر المال هو عصب الحياة، وتظهر صور التسامح الإسلامي في مجال المعاملات المالية والتجارية في المظاهر الآتية:

1-من سماحة الإسلام في المجال التجاري، أن جعل الإسلام الأصل في المعاملات المالية وفي العقود التجارية الحل والإباحة يقول الله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٢٧٥ ﴾ البقرة: ٢٧٥

فيباح للإنسان اجراء كافة العقود والبيع والشراء، وعقد ما يشاء من المعاملات المالية والصفقات التجارية، كما أباح الإسلام للمسلم اجراء العقود مع كافة الناس سواء مسلمين، أو غيرهم من أهل الملل والأديان الأخرى.

2-من سماحة الإسلام في مجال المعاملات المالية، الحث على كسب المال الحلال، لما له من الآثار الطيبة على صاحبه، وترغيب الناس بالتجارة والبيع فقد سئل رسول الله ﷺ أي الكسب أطيب؟ فقال (أفضل الكسب عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور) [1]، وفي مقابل ذلك يحذر الإسلام من كسب المال الحرام، لما له من الآثار السيئة التي تعود على صاحبه، يقول النبي ﷺ لأحد أصحابه (يا كعب بن عجره إنه لا يربو لحم نبت من سحت إلا كانت النار أولى به)[2].

3-من سماحة الإسلام في مجال المعاملات المالية، دعوته للرجال الأعمال وأهل التجارة إلى التحلي بالأخلاق الكريمة الفاضلة في المعاملات المالية وعقود البيع، فالإسلام يدعو التاجر إلى الصدق والأمانة في البيع، حتى تحصل البركة في البيع والشراء يقول النبي ﷺ (البيعان بالخيار ما لم يتفرقا فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كذبا وكتما محقت بركة بيعهما) [3]، والإسلام يدعو التاجر إلى التيسير والتسهيل والسماحة في المعاملات المالية، يقول النبي ﷺ (رحم الله عبداً سمحا إذا باع سمحا إذا اشترى سمحا إذا اقتضى) [4]، والإسلام يدعو التاجر إلى العفو والصفح والمسامحة في عقد البيع وإقالته وفسخه إذا طلبه الطرف الآخر، يقول النبي ﷺ (من أقال مسلما أقال الله عثرته يوم القيامة) [5]، والإسلام يدعو التاجر إلى امهال المعسر وإنظاره، والعفو والمسامحة في الديون والقروض، يقول النبي ﷺ مرغباً في ذلك (كان تاجر يداين الناس فإذا رأى معسراً قال لفتيانه تجاوزوا عنه لعل الله أن يتجاوز عنا فتجاوز الله عنه) [6].

المطلب الخامس: التسامح الأسري:

الأسرة هي النواة الأولى لبناء المجتمعات، والأسرة هي المصانع المستقبلية للأجيال، ومن أبرز صور التسامح الأسري في الإسلام ما يلي:

1- من سماحة الإسلام في بداية عقد الزواج وفي مرحلة الخطوبة، أباح للرجل الخاطب النظر إلى المرأة المخطوبة (يقول النبي ﷺ لأحد أصحابه حينما أخبره أنه خطب امرأة، أذهب فأنظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما) [7].

2- من سماحة الإسلام في عقد الزواج أن حث الإسلام على تيسير وتخفيف وتسهيل المهور يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (ألا لا تغالوا صدقة النساء فإنه لو كانت مكرمة في الدنيا أو تقوى عند الله كان أولاكم بها نبي الله ما علمت رسول الله ﷺ نكح شيئاً

---

(1) أخرجه البزار في مسنده، مسند رفاعة بن رافع، حديث رقم 3153.

(2) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب أبواب السفر، باب ما ذكر في فضل الصلاة، حديث رقم 614.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، حديث رقم 2110.

(4) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب التجارات، باب السماحة في البيع، حديث رقم 2203.

(5) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب التجارات، باب الإقالة، حديث رقم 2199.

(6) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب من انذر معسراً، حديث رقم 2078.

(7) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب النكاح، باب ما جاء في النظر إلى المخطوبة، حديث رقم 1087.

من نساءه ولا أنكح شيئاً من بناته على أكثر من ثنتي عشرة أوقية)[1]، كما أن الإسلام دعا إلى تيسير تكاليف حفلة الزواج ووليمة العرس، يقول النبي ﷺ لأحد أصحابه لما أخبره بأنه تزوج فقال (بارك الله لك أولم ولو بشاه)[2].

3-من سماحة الإسلام في الحقوق الزوجية، أن أمر كلا الزوجين بالقيام بالحقوق الواجبة عليه، ومعاشرة كل منهما الآخر بالمعروف، يقول الله تعالى: (قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴿١٩﴾ ﴾ ، سورة النساء: الآية 19، وفي حال وجود خلافات وشقاق زوجي، وعدم توافق الزوجان، فإن الإسلام اباح الفراق والطلاق والتسريح بالإحسان، يقول الله تعالى: (قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ﴿٢٢٩﴾ ﴾ البقرة: ٢٢٩

فالإسلام راعى جانب النفور والنشوز، وقدم الحلول للمشكلات الزوجية التي تقع بين الزوجين حتى لا يحصل الضرار على أحد منهما[3].

4-من سماحة الإسلام في حقوق الأولاد، أن دعا كلا الأبوين، بالقيام بحقوق الطفولة من الرضاعة والنفقة ونحوها، ودعا الإسلام الوالدين إلى الرفق والسماحة واللين والرحمة في تربية الأولاد،

المطلب السادس: التسامح الثقافي:

لكل أمة من الأمم ثقافة ولغة وحضارة وتاريخ، وعادات وأعراف تتوارثها الأجيال جيلاً بعد جيل، وقد جاء الإسلام بالتسامح أمام هذه الثقافات والعادات واحترامها، وأباح للمسلم الإطلاع على ثقافات وعادات غير المسلمين، من أهل الملل والأديان الأخرى وشعوب الأرض، ومن أبرز صور التسامح الثقافي في الإسلام ما يلي:

1- من سماحة الإسلام في مجال الثقافات واللغات، أن احترم الإسلام لغات غير المسلمين من الأمم والشعوب الأخرى، بل أجاز تعلمها والاطلاع عليها إذا دعت الحاجة لها، فقد جاء في السنة أن النبي ﷺ (أمر زيد بن ثابت أن يتعلم كتاب اليهود ولغتهم حتى يقرأ عليه كتبهم إذا كتبوا إليه)[4]، كما تحدث النبي ﷺ ببعض الكلمات التي عند الشعوب الأخرى، وهذا من باب التسامح فقد جاء في حديث أم خالد بنت خالد لما كساها النبي ﷺ خميصة سوداء والبسها بيده، فقال لها (أبلي وأخلقي وكان فيها علم أخضر أو أصفر، فقال يا أم خالد هذا سناه، وسناه بلغة الحبشة أي هذا حسن)[5].

2- من سماحة الإسلام في مجال تاريخ وأخبار الأمم الماضية، أن أجاز رواية وسماع مرويات اليهود عن التاريخ وأخبارهم وأخبار الأمم الماضية، فقد كان اليهود ينقلون للمسلمين أخبار الأمم الماضية، فتحرج المسلمون من روايتها وسماعها، فأخبروا النبي ﷺ فقال (بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج)[6]، كما ثبت في السنة أن النبي ﷺ استمع إلى الأخبار التي يرويها اليهود، فقد جاء يهودي إلى النبي ﷺ فقال (يا محمد إنا نجد أن الله يجعل السموات في أصبع، والإراضين في أصبع والشجر على أصبع، والماء والثرى

(1) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب أبوب النكاح، باب ما جاء في مهور النساء، حديث رقم 1114.

(2) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب أبواب النكاح، باب ما جاء في الوليمة، حديث رقم 1094.

(3) أنظر سماحة الإسلام، عبدالعزيز الربيعة، 158.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب ترجمة الحكام، حديث رقم 7195.

(5) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، باب الخميصة السوداء، حديث رقم 5823

(6) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني اسرائيل، حديث رقم 3461.

على أصبع وسائر الخلائق على أصبع، فيقول أنا الملك، فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجده تصديقاً لقول الحبر، ثم قرأ قوله تعالى " وما قدروا الله حق قدره "[1].

من سماحة الإسلام في مجال العادات والتقاليد، أن الإسلام احترم عادات وتقاليد غير المسلمين، والأعراف التي لدى الشعوب والأمم الأخرى، إذا لم يكن بها مخالفات شرعية ولا محاذير دينية، فهي أعراف محترمة انطلاقاً من قوله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ ﴿١٩٩﴾ ﴾ الأعراف: ١٩٩ ،وانطلاقاً من القواعد الفقهية التي تؤسس أن العادات محكمة، والمعروف عرفاً كالمشروط ﷺ أراد أن يكتب كتاباً إلى الروم، فقالوا له إنهم لن يقرأوا كتابك إذا لم يكن مختوماً، فاتخذ النبي ﷺشرطاً[2]، وقد ثبت في السنة أن النبي الخاتم اتباعاً لأعراف أهل الكتاب في ذلك، وهذا من باب التسامح ﷺخاتماً من فضة ونقشه محمد رسول الله[3]، فقد اتخذ النبي الإسلامي في مجال العادات والأعراف.

المطلب الثامن: التسامح القضائي:

تحصل بين الناس منازعات وشقاق وخصومات ويحتاجون إلى القضاء للفصل فيها وفض هذه الخلافات في كافة المنازعات، وقد كان للتسامح، أثراً كبيرا ودورا بارزا عظيما، في إنهاء هذه الخصومات والنزاعات، ومن أبرز صور التسامح القضائي في الإسلام ما يلي:

1-من سماحة الإسلام في القضايا المالية والحقوقية، أن الإسلام يحث على الصلح والمصالحة والاتفاق بين المتخاصمين على إنهاء النزاع والتسامح فيما بينهما يقول الله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ ﴿٤٠﴾ ﴾ سورة الشورى: الآية 40، كما حث الإسلام الخصم على المبادرة لإنظار المعسر، وامهال المديون واسقاط الديون، أو بعضها والتنازل عنها، ومراعاة حال المدين فارتفعت اصواتنا ﷺوالتسامح في ذلك، يقول كعب بن مالك رضي الله عنه تقاضيت ديناً من خصم لي في دين، في مسجد رسول الله حتى كشف سجف حجرته، ونادى (يا كعب بن مالك فقلت لبيك يا رسول ﷺحتى سمعها النبي وهو في بيته، فخرج إلينا رسول الله له قم فأقضه) [4].ﷺالله، فقال ضع الشطر من دينك، فقلت قد فعلت يا رسول الله، فقال النبي

2-ومن صور سماحة الإسلام في قضايا القصاص والجنايات، أن شرع في جريمة القتل الخيار لأهل المقتول إما المطالبة بالقصاص أو العفو وقبول الدية أو العفو مجاناً، يقول الله تعالى: (قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٧٨﴾ ﴾سورة البقرة: الآية 178، فالإسلام دعا إلى التسامح والتنازل والعفو والصفح عن الجاني، وخير أولياء الدم وأهل المجني عليه إما القصاص، وإما التسامح والصلح مع الجاني وقبول الدية، أو بالعفو مجاناً، ولا شك أن التسامح في مثل هذه المواطن يعتبر من شيم الكرماء وأهل السخاء والنفوس الأبية العظيمة[5].

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب تفسير قوله تعالى (وما قدروا الله حق قدره)، حديث رقم 4811.

(2) أنظر العرف وأثره في الشريعة والقانون، أحمد علي سير المباركي، 18.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، باب اتخاذ الخاتم ليختم به، حديث رقم 5875.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب التقاضي والملازمة في المسجد، حديث رقم 457.

(5) أنظر سماحة الإسلام، عبدالعزيز الربيعة، 93.

المطلب التاسع: التسامح العسكري والحربي:

لقد جاء الإسلام بنظام الجهاد والقتال في سبيل الله، وبمشروعية الدفاع عن النفس ومواجهة العدو، والجهاد لإعلاء كلمة الله، ونشر دين الله في كافة إنحاء الأرض، ومن أبرز صور التسامح الإسلامي في حالة الحروب والنزاعات العسكرية المسلحة ما يلي:

1- من سماحة الإسلام في حالة الحروب، أن جاء بنظام الجهاد والقتال في سبيل الله، وجعل لهذا الجهاد أحكاماً وضوابط وآداباً يجب على المجاهد في سبيل الله مراعاتها والالتزام بها، فمن أحكام الجهاد في الإسلام، أن الجهاد لا يكون إلا بأذن ولاة الأمر وتحت راية ولاة أمر المسلمين، كما دعا المجاهدين والمقاتلين في سبيل الله إلى التزود والإعداد الروحي والمادي للجهاد، وفي مقابل ذلك فإن الإسلام احترم مبدأ الضرورة العسكرية، فإن الحرب ضرورة ولابد أن تقدر الضرورة بقدرها، ولا يلجأ إلى أساليب خارجة عن مبدأ الضرورة العسكرية، فقد ثبت في السنة أن النبي ﷺ قال لأصحابه (إن وجدتم فلانا وفلانا فاحرقوهما في النار، ثم قال لهم بعد ذلك إني أمرتكم أن تحرقوا فلانا وفلانا، وإن النار لا يعذب بها إلا الله فإن وجدتموهما فاقتلوهما) [(1)].

2- من سماحة الإسلام في حالة الحروب والنزاعات المسلحة، أن الإسلام جعل الحرب والقتال مقصورة على الجيوش المتحاربة في ساحة أرض المعركة فقط، ولا تتعداها إلى غيرها فالإسلام حرم قتل المدنيين العزل في حالة الحرب، من النساء والأطفال والشيوخ والكهول والرهبان والعباد الذين لا يحملون السلاح، ولم يشاركوا في القتال، يقول أنس بن مالك كان رسول الله ﷺ يوصي أمراء الجيوش بقوله (انطلقوا باسم الله وعلى ملة رسول الله، ولا تقتلوا شيخاً فانيا، ولا طفلا ولا صغيرا، ولا امرأة ولا تغلو وأصلحوا وأحسنوا إن الله يحب المحسنين) [(2)]، .

من سماحة الإسلام في حالة الحروب والنزاعات المسلحة، أن الإسلام دعا المجاهدين في سبيل الله إلى المبادرة إلى الصلح وعقد الهدنة والمصالحة، وإيقاف الحرب وحقن الدماء وحفظ الأنفس يقول الله تعالى: **قَالَ تَعَالَى:** ﴿ ۞ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٦١ ﴾سورة الأنفال: الآية 61، وقد صالح النبي ﷺ المشركين يوم الحديبية[(3)]، كما دعا الإسلام إلى احترام الأسرى والجرحى والمرضى بعد القتال والمعركة، وحث على معاملتهم معاملة إنسانية حسنة، والتسامح معهم والإحسان إليهم بالطعام والشراب أو التسامح بالمن والفداء، يقول الله تعالى: **قَالَ تَعَالَى:** ﴿ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَاۚ ٤ ﴾ سورة محمد: الآية 4.

المطلب العاشر: التسامح الإنساني:

لقد اقتضت حكمة الله ومشيئته وقدره، أن يقدر على الإنسانية المصائب والأزمات والكوارث والجوائح والظروف الطارئة، مثل الأمراض الوبائية الخطيرة، والحرائق العامة، ومثل الزلازل والأعاصير والبراكين والفيضانات، وغيرها من الكوارث والمصائب التي تحل بالبشرية وتخلف آثاراً عظيمة على الإنسان والبيئة والمكان، ومن أبرز صور التسامح الإسلامي في الحالات الإنسانية وفي حالة الكوارث والظروف الطارئة ما يلي:

1-من سماحة الإسلام في الحالات الإنسانية والكوارث والظروف الطارئة، أن دعا إلى مد يد العون لكافة الإنسانية والبشرية المنكوبة، وإنقاذ النفس البشرية سواء كانت مسلمة أم غير ذلك، فالإسلام يدعو إلى بذل المعروف والإحسان لكل الناس، ومن أعظم وجوه الخير

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب لا يعذب بعذاب الله، حديث رقم 3016.

(2) أخرجه أبو داؤود في سننه، كتاب الجهاد،/ باب في دعاء المشركين، حديث رقم 2614.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلح، باب الصلح مع المشركين، حديث رقم 2700.

تقديم المساعدات في حالة الظروف الطارئة، يقول الله تعالى مرغباً بالإنفاق في كل الأحوال بقوله: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٧٤ ﴾ سورة البقرة: الآية 274، كما أن الإسلام يدعو إلى المبادرة في إغاثة الملهوفين، ومساعدة المنكوبين ومد يد الأجر العظيم لمن نفس كربه أو فرج ﷺ (فكوا العاني وأطعموا الجائع وعودوا المريض) [1]، ورتب النبي ﷺالعون للمحتاجين، يقول النبي عن مكروب ومنكوب، يقول عليه الصلاة والسلام (من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة) [2].

2-من سماحة الإسلام في الحالات الإنسانية والكوارث، والظروف الطارئة أن دعا إلى المبادرة للعمل التطوعي والخيري، في كافة وجوه الخير والمعروف والإحسان والتسامح مع الخلق بالعمل الخيري يقول الله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٧٧ ﴾ سورة الحج: الآية 77، ومن أعظم (الساعي على الأرملة والمسكين ﷺوجوه البر والخير التعاون على الأعمال التطوعية الإنسانية، التي تنقذ أرواح البشرية يقول النبي كالمجاهد في سبيل الله أو القائم الليل الصائم النهار) [3]، فالإسلام يدعو المجتمع إلى التعاون والتكافل الاجتماعي، وبذل الخير لكافة الإنسانية، [4].

المبحث الخامس: ضوابط التسامح في الفقه الإسلامي:

لقد وضع الإسلام شروطاً وضوابط للتسامح مع الآخرين، ينبغي مراعاتها والالتزام بها حتى يقع التسامح في موقعه، وجاءت هذه الضوابط على النحو الآتي:

1-عند التسامح يجب مراعاة الأصول والثوابت في الشريعة الإسلامية، فأصول الدين وأركان الإسلام لا يجوز التنازل عنها ولا التسامح فيها، أما الفروع الفقهية والمتغيرات فهذه تختلف باختلاف الأحوال والظروف، وهي قابلة للتنازل والتسامح والاجتهادات والترجيح بما يناسب الحال والمصلحة، ومن الأمثلة على هذا الضابط الإيمان بالله تعالى وبملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقدر، هذه مسلمات وأصول في الدين يجب الاعتقاد والإيمان الصادق بها، ولا يجوز التسامح والتنازل عنها، ففي الحديث أن عائشة رضي الله عنها قالت يا رسول الله إن ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين، فهل ذلك نافعه؟ فقال رسول الله (لا ينفعه إنه لم يقل يوماً رب أنه لا تسامح في أصول الدين وأركان الإسلام، مهما عمل الإنسان من الأخلاق ﷺأغفر لي خطيئتي يوم الدين) [5]، فقد بين النبي والفضائل، لأن أصول الدين وأركان الإسلام لا يدخلها التسامح والتنازل، ومثال الأصول والثوابت في أبواب المعاملات التي لا يدخلها التسامح، تحريم الربا فقد حرم الإسلام الربا بكافة أشكاله وأنواعه، يقول الله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب فكاك الأسير، حديث رقم 3046.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الدعوات، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، حديث رقم 6793.

(3) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد، باب فضل الإحسان إلى الأرملة والمسكين، حديث رقم 7468.

(4) أنظر العمل الخيري مع غير المسلمين، حسن وهدان، 107.

(5) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على الكفر لا ينفعه عمله، حديث رقم 214.

﴿٢٧٥﴾ سورة البقرة: الآية 275، فتحريم الربا أصل في المعاملات، لا بدخله التنازل ولا التسامح، فمن أباح الربا في بعض المعاملات المالية من باب التسامح فهذا مسلك خاطئ، فإن تحريم الربا أصل من أصول الدين وثوابته ومسلماته، لا تقبل التنازل ولا التسامح، أما الفروع الفقهية والمتغيرات فإن هذه قابلة للتنازل والتسامح والاجتهاد، فقد جاء في الحديث أن رجلان خرجا في سفر فحضرت الصلاة ﷺوليس معهما ماء، فتيمما ثم صليا وبعدها وجدا الماء في الوقت، فأعاد أحدهما الصلاة والوضوء ولم يعد الآخر، ثم أتيا رسول الله (فأخبراه فقال للذي لم يعد، أصبت السنة وأجزائتك صلاتك، وقال للذي توضأ وأعاد لك الأجر مرتين) [1]، ففي هذا الحديث أجاز وتسامح في الاجتهاد في الفروع الفقهية، فتبين لنا أن التسامح يدخل في أبواب الفروع الفقهية والمتغيرات والاجتهادات فهي ﷺالنبي قابلة للتنازل والتسامح والترجيح حسب ما يقتضيه الحال والمصلحة، فهي بخلاف الأصول والمسلمات التي لا مجال للتنازل والتسامح فيها[2].

2-عند التسامح يجب مراعاة الأخلاق الفاضلة والقيم والمبادئ والأعراف السامية، فالتسامح جزء من منظومة الأخلاق والقيم، فلا نأخذ بخلق التسامح ونهمل الأخلاق الأخرى، بل الإسلام دعا إلى التحلي لمجموع هذه الأخلاق، ومراعاة كافة الأخلاق، فالإسلام يدعو إلى العدل والمساواة وإلى احترام الآخرين، ويدعو إلى الصدق والأمانة والرحمة، وفي مقابل ذلك ينهى الإسلام عن الأخلاق السيئة مثل الظلم والإساءة للآخرين، والخيانة والعنف والقسوة، لذا ينبغي أن يكون التسامح موافقاً للأخلاق الفاضلة والقيم والأعراف السامية، ومبتعداً عن الأخلاق السيئة[3].

3-يجب عند التسامح مراعاة الجوانب والمعاملات والأحوال التي تكون مجالاً للتسامح وما لا يكون، فالأصل أن التسامح يدخل في جميع مجالات الحياة، وفي كافة المعاملات والأحوال، ولكن هناك معاملات وأحوال مستثناه لا يدخلها التسامح، ومن ذلك الحقوق والواجبات والالتزامات، التي يجب على الإنسان أن يؤديها كما اتفق عليها بين الأطراف، ولا يقبل فيها التنازل ولا التسامح، إلا إذا أسقط صاحب الحق حقه وتنازل وتسامح عن شرطه، فهنا يدخل التسامح، مثال ذلك الحقوق الزوجية وحقوق الأولاد وواجبات العمل والوظيفة والالتزامات العقدية والاتفاقيات والمعاهدات، كل هذه معاملات وأحوال لا يدخلها التنازل ولا التسامح، بل الواجب فيها الوفاء والقيام بها والامتثال لها، يقول الله تعالى: قَالَ تَعَالَى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ ١ ﴾ سورة المائدة: الآية1، فالحقوق والواجبات ليست مجال للتسامح، بل فيها المشاحة والمنازعة، إلا إذا اسقط صاحب الحق حقه وتنازل وتسامح عن شروطه، ووضعنا هذا القيد والضابط للتسامح حتى لا يفهم أحد أننا ندعو إلى الفوضى في الحياة، عن طريق التسامح وعدم الوفاء بالحقوق في الحقوق الأسرية (كفى بالمرء إثماً أن يحبس ﷺوالالتزامات، بل الإسلام أمر بالقيام بها وحذر من التهاون والتكاسل عنها، يقول النبي عمن يملك قوته) [4]، فالإسلام دين البر والوفاء، وهو دين السماحة والإخاء والتعاون والصفاء.

(1) أخرجه ابو داوود في سننه، كتاب الطهارة، باب في المتيمم يجد الماء، حديث رقم 338.

(2) أنظر أحكام التعايش مع غير المسلمين، مصطفى الكبيسي، 76.

(3) أنظر الأخلاق الإسلامية، عبدالرحمن حسن الميداني، 458/2.

(4) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب فضل النفقة على العيال وأثم من ضيعهم، حديث رقم 996.

4-يجب عند التسامح مراعاة عدم الحاق الأذى والضرر على الآخرين، وعدم الاعتداء على حرماتهم وممتلكاتهم وحرياتهم، فالإسلام حرم الأذى والاعتداء بكافة طرقه ووسائله، يقول النبي ﷺ (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده) [1]، كما أن الإسلام نهى عن إلحاق الضرر بالآخرين، يقول النبي ﷺ (لا ضرر ولا ضرار) [2]، فليس التسامح في الإسلام مطية للإلحاق الأذية والضرر على الآخرين ، فهذا ظلم وعدوان، بل التسامح في الإسلام موافق ومقارن للعدل وحفظ الحقوق واحترام الحريات والملكيات، ونشر الأمن والسلام بين الأفراد والمجتمعات والدول.

المبحث السادس: آداب التسامح في الفقه الإسلامي:

خلق التسامح من الأخلاق الإسلامية النبيلة ، وهو محفوف بالآداب، ينبغي على المتسامح أن يتحلى بها، وقد جاءت على النحو الآتي:

1- ينبغي أن يكون التسامح مع جميع المخلوقات والكائنات، ومع كافة الشعوب والأمم، فالتسامح ليس مقصورا على فئة معينة بل التسامح يكون مع الكبير والصغير، والذكر والأنثى، والتسامح يكون مع البر والعاصي، فقد جاء رجل إلى النبي ﷺ يخبره أنه قد وقع بمعصية ويطلب إقامة الحد عليه، فأقيمت الصلاة فاعرض عنه النبي ﷺ فلما قضى صلاته، قام إليه الرجل فقال يا رسول الله إني اصبت حدا فأقم في كتاب الله، فقال له رسول الله (أليس قد صليت معنا؟ قال نعم قال فإن الله قد غفر لك ذنبك) [3]، فهذا الرجل قد وقع بمعصية، ومع ذلك تسامح النبي ﷺ معه وعفى عنه، وكذلك يكون التسامح مع الحر والعبد والخدم والعمال، ويكون التسامح بالسخاء معهم، واطعامهم والنفقة عليهم معهم، وعدم تكليفهم بالأعمال التي لا يطيقونها، والعفو والتسامح والتغاضي عند حصول الخطأ منهم معهم، يقول النبي ﷺ (إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم) [4]، والتسامح يكون مع المسلم وغير المسلم، بالعفو والصفح والمسامحة، فقد جاء أهل مكة إلى النبي ﷺ بعد الفتح، يطلبون العفو والمسامحة، فقال لهم النبي ﷺ (يا معشر قريش ما ترون أني فاعل فيكم؟ قالوا خيرا أخ كريم وأبن أخ كريم، فقال أذهبوا فأنتم الطلقاء) [5]، والتسامح يكون مع الإنسان ويكون كذلك مع الحيوان بإطعامه والعناية به وعدم أذيته، فقد جاء في الحديث أن النبي ﷺ دخل حائط رجل من الأنصار، فإذا جمل فلما رأى النبي ﷺ حن وذرفت عيناه، فاتاه النبي ﷺ فمسح ذفراه فسكن، فقال (من رب هذا الجمل؟ فجاء فتى من الأنصار فقال لي يا رسول الله، فقال افلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله أياها، فإنه شكى إلي أنك تجيعه وتدئبه) [6].

2- من آداب التسامح في الإسلام، ينبغي أن يكون هذا التسامح فيه رحمة وعطف وشفقة ولين جانب، وفيه الرفق والتواضع والقول الطيب والمعاملة بالحسنى، يقول النبي ﷺ (اتق الله حيث ما كنت، واتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن) [7]، وفي الجملة على المتسامح أن يتحلى بكل خلق حسن وأدب رفيع، كما أن على المتسامح أن يبتعد عن الأخلاق السيئة والذميمة، ويحذر من الأذى بالقول والفعل ومن القول الفاحش البذيء، يقول النبي ﷺ (ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، حديث رقم 10.

(2) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الأحكام، باب من بنى في حقه ما يضر بجاره، حديث رقم 2341.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحدود، باب إذا أقر بالحد ولم يبين هل للإمام أن يستر عليه، حديث رقم 6823.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب المعاصي من أمر الجاهلية، حديث رقم 30.

(5) أخرجه أبن هشام في السيرة النبوية، في دخول رسول الله ﷺ مكة، 412/2.

(6) أخرجه أبو داؤود في سننه، كتاب الجهاد، باب ما يأمر به من القيام على الدواب والبهائم، حديث رقم 2549.

(7) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في معاشرة الناس، حديث رقم 1987.

البذيء)[1]، فليس التسامح في الإسلام مجالا لإذلال الناس أو اهانتهم أو ازدرائهم، بل التسامح في الإسلام جاء لنشر المودة والإخاء والمحبة والصفاء، والعيش بأمنا ورخاء.

3- من آداب التسامح في الإسلام ينبغي أن يكون هذا التسامح صادر من الشخص بطيب نفس منه، وعن رضا واختيار وقناعة منه، بلا جبر ولا إكراه من أحد، فالتسامح من تصرفات الإنسان وأفعاله التي لابد أن تكون صادرة عن اختيار ورضا وقناعة.

من آداب التسامح في الإسلام ينبغي أن يقصد المتسامح عن الآخرين الستر وغض الطرف، والتغاضي عن الأخطاء، وليحذر المتسامح من إشاعة أخطاء الآخرين في المجتمع، لأن هذا ينشر الفتنة والبغضاء والكراهية ويوغر الصدور، كما أن على المتسامح أن يبتعد عن المن والأذى، فذلك محبطا للعمل مضيع للأجر والمثوبة، يقول الله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ ﴿٢٦٤﴾ ﴾سورة البقرة: الآية 264.

4- من آداب التسامح في الإسلام ينبغي على المتسامح إذا عقد الصلح والاتفاق مع الآخرين، أن يتنازل عن بعض مطالباته، حتى تقترب وجهات النظر، كذلك ينبغي على المتسامح في الصلح أن يبحث عن الحلول اليسيرة والتي يسهل تناولها، ويبتعد عن الحلول الصعبة أو المستحيلة أو الغير ممكنة على الآخرين، فمثل هذه الحلول تغلق أبواب الصلح والتسامح.

المبحث السابع: آثار التسامح المجتمعية والدولية في الفقه الإسلامي:

التسامح في الإسلام له آثار حميدة تعود على المجتمعات والدول بالآثار الطيبة، وقد جاءت هذه الآثار في المطلبين الآتيين على ما يلي:

المطلب الأول: آثار التسامح على الأفراد والمجتمعات في الفقه الإسلامي:

لقد جاءت أبرز آثار التسامح التي تعود على الأفراد والمجتمعات، على ما يلي:

أن التسامح يعود على صاحبه بالأجر العظيم، والثواب الجزيل من الله تعالى، فالتسامح عمل صالح إذا ابتغى فاعله نيل ما عند الله، ورجاء رحمته ينال بإذن الله جزاءه عند الله برفعة الدرجات وزيادة الحسنات وجنة عرضها الأرض والسماوات يقول جل وعلا:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ سورة آل عمران: الآية 133-134، فمن أعظم آثار التسامح وفوائده، هو نيل رضا الله ورحمته ومغفرته وجنته، يحكي لنا النبي ﷺ قصة الرجل التاجر الذي كان يتسامح مع المعسرين فلما مات غفر الله له بقوله (كان الرجل يداين الناس فكان يقول لفتاه إذا أتيت ﷺ أن الجزاء من جنس العمل فهذا ﷺمعسراً فتجاوز عنه لعل الله أن يتجاوز عنا ، قال فلقي الله تعالى فتجاوز عنه)[2]، فقد أخبر النبي التاجر تسامح عن المعسرين في الدنيا، فكافئه الله بأن تسامح عنه في الدار الأخرة وغفر له.

1- من آثار التسامح الديني مع أهل الملل والأديان الأخرى، أن فيه برهان قوي وعلامة ظاهرة على صدق المسلمين ورغبتهم في التعايش السلمي مع غير المسلمين، من أهل الملل والأديان ومع كافة الشعوب والأمم.

من آثار التسامح الديني مع أهل الملل والأديان الأخرى، أن فيه احترام للحريات الدينية لغير المسلمين، فالإسلام لا يجبر أحد في الدخول فيه ابتداء، بل يعرض عليه الإسلام فإن شاء دخل فيه وأنقذ نفسه من الكفر، وإلا للفرد الحرية والاختيار والبقاء على ديانته،

(1) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في اللعن، حديث رقم 1977.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب منه، حديث رقم 3480.

وسوف يحاسب الله تعالى كل إنسان على عمله يقول الله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ ﴾ سورة آل عمران: الآية 20.

2- كما أن التسامح مع أهل الملل والأديان الأخرى يبرز عظمة الدين الإسلامي وسماحته وسمو حضارته، وهو في الوقت ذاته وسيلة دعوية لنشر الدين الإسلامي عند غير المسلمين، ودعوة الناس والأفراد إلى دين الله، كما أن التسامح مع غير المسلمين وسيلة لتصحيح صورة الإسلام أمام الشعوب والمجتمعات الأخرى وإزالة التهم الملصقة بالإسلام(1).

3- من آثار التسامح مع الرعية أنه يقوي الصلة والرابطة بين الحاكم والمحكوم والراعي والرعية، ويزيد من حب الفرد وولائه لوطنه ولدولته ولولاة الأمر، والتسامح مع الرعية يقوي الانتماء للوطن في نفوسهم، ويزيد من الولاء والانتماء للهوية الوطنية، والإخلاص والتفاني في خدمة الوطن والدولة، وفي نفس الوقت هو رافد من روافد حفظ الأمن القومي والداخلي للدولة(2).

4- من آثار التسامح في المعاملات المالية انتعاش الحركة الاقتصادية، كما أن التسامح في العقود التجارية وتيسيرها وتسهيلها يؤدي إلى سهولة وسرعة عقد الصفقات التجارية، وإلى تبادل السلع بين الناس وزيادة الأقبال على شراء المنتجات، وهذا يؤثر على زيادة الانتاج والدخل، بالنسبة للأفراد والشعوب.

5- من آثار التسامح الأسري والاجتماعي أنه يقوي الروابط الأسرية ويزيد من تماسك البيوت، ويساعد في علاج كثير من الخلافات الزوجية والاجتماعية، كما أن التسامح يقوي الصلات الاجتماعية ويدعم التكافل الاجتماعي، وينشر الألفة والوحدة والتلاحم والتعاون والتضامن بين الأفراد ولمجتمعات.

من آثار التسامح مع أهل المعصية، أنه يجعل صاحب المعصية عضوا صالحا في بناء المجتمع، وعدم تأثر حياتهم بما ارتكبوه من خطأ، وذلك حينما يتعامل مع أهل المعصية بالستر والصفح والمسامحة، ومحاول إصلاح الخطأ والتوبة إلى الله والاستقامة على دينه، والاكثار من الأعمال الصالحات فالله تعالى يقول: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ﴿١١٤﴾ ﴾ ، سورة هود: الآية 114.

6- من آثار التسامح الثقافي مع أهل الحضارات واللغات الأخرى، أنه يؤدي إلى تبادل الخبرات والتجارب والثقافات بين الأمم، كما أن التسامح وسيلة لتعلم اللغات والاطلاع على التراث والتاريخ والأعراف والتقاليد والعادات لدى الشعوب الأخرى.

7- من آثار التسامح الإنساني أن التسامح والسخاء والكرم والعطاء على المنكوبين في جميع إنحاء العالم، ومد يد العون والمساعدة لهم، فيه إغاثة للشعوب وإنقاذ للإنسانية من الهلاك، وفيه تفريج للمكروبين وإغاثة للملهوفين، كما أن التسامح الإنساني فيه دعم لنشر الأعمال التطوعية والخيرية بين الناس وإسعاد لكافة البشرية.

المطلب الثاني: آثار التسامح على العلاقات الدولية في الفقه الإسلامي:

لقد كان لتعامل الدولة الإسلامية بالتسامح مع الدول الأخرى الأثر البارز على العلاقات الدولية معها، جاءت أبرز تلك الآثار على ما يلي:

1- أن تعامل الدولة الإسلامية بالتسامح مع الدول الأخرى أدى ذلك إلى فتح كافة قنوات التواصل وتبادل المصالح والمنافع المشتركة، وانتعاش الحركة التجارية بين الدول، وزيادة الإنتاج والدخل وتحسين مستوى الاقتصاد والتنمية والمعيشة لكافة الدول.

2- من آثار التسامح الدولي أن فيه حفظ للسلم والأمن الدوليين، بين الدولة الإسلامية والدول الأخرى، حيث دعا الإسلام الدولة الإسلامية بالوفاء بالمعاهدات والاتفاقيات التي تبرمها مع غيرها، والقيام بالتزاماتها، كما دعا الإسلام الدولة الإسلامية إلى حفظ

(1) أنظر التقارب والتعايش مع غير المسلمين، محمد الشريف، 47.

(2) أنظر متطلبات المحافظة على نعمة الأمن والاستقرار في بلادنا، سليمان الحقيل، 28.

الحقوق والممتلكات وحفظ حقوق الدول المجاورة ودعا الإسلام الدولة الإسلامية إلى احترام مبدأ حسن الجوار، كل هذا وغيره مما يعزز جانب التسامح الدولي، ويؤكد على أن التسامح جاء ليحفظ السلم والأمن بين الدول.

3- من آثار التسامح الدولي أنه يدعو إلى احترام الحريات الدينية والثقافة الدولية، وإلى احترام التقاليد والعادات والأعراف التي لدى الدول والأمم ،كما يدعو التسامح إلى احترام التاريخ والحضارات الأخرى، كما أن التسامح يدعو إلى نشر ثقافة الحوار مع الآخرين[1].

4- من آثار التسامح الدولي أنه يعزز جانب التعايش السلمي بين الدول، فالتسامح مؤشر قوي على صدق الدولة الإسلامية ورغبتها للتعايش السلمي مع الدول الأخرى، ومما يشهد لذلك أن النبي ﷺ لما قدم المدينة وجد هناك مجموعة من قبائل اليهود، فرغبه بالتعايش السلمي معهم تسامح النبي ﷺ مع اليهود، وعقد معهم وثيقة عظمى ودستورا كريما يظهر فيه سماحة الإسلام، ورغبته في التعايش مع أهل الملل والأديان الأخرى، فكان مما احتوته هذه الوثيقة أن لليهود دينهم وللمؤمنين دينهم، ولهم أموالهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم، وأن اليهود مع المؤمنين وأن بينهم النصر على من حاربهم، وأن بينهم النصح والنصرة للمظلوم والمكلوم وإغاثة الملهوف[2]، فهذا التسامح الدولي يعزز جانب التعايش السلمي بين المجتمعات والأمم والدول.

5- من آثار التسامح الدولي أنه يعود على العلاقات الدولية بالقوة والتماسك والتعاون، ويدعو إلى الاستفادة من تبادل الخبرات والتجارب، وتبادل المنافع والمصالح المشتركة في كافة مجالات التعاون العسكري والصحي والتعليمي والاقتصادي والتنموي وغيرها[3].

6- أن تعامل الدولة الإسلامية بالتسامح فيه أبراز لعظمة الدين الإسلامي وسمو حضارته ورقي تعاليمه بالتعامل مع الدول، وهو وسيلة من وسائل نشر الدين الإسلامي والدعوة إلى الله في الدول الأخرى، كما أن التسامح مع الدول الأخرى وسيلة لتصحيح صورة الإسلام أمام المجتمعات الدولية وإظهار سماحة الإسلام وعدالته لدى المجتمعات والدول والأمم[4].

المبحث الثامن: موانع مؤثرة على التسامح في الإسلام:

يسعى كثير من الناس والأفراد والمجتمعات والدول، إلى التحلي بخلق التسامح، لما له من الآثار الحميدة التي تعود على الأمم والشعوب والدول، بالخير والنفع والفائدة، وفي مقابل ذلك هناك من يسعى ضد التسامح ويحول بين تحقيقه في الأفراد والمجتمعات والدول، بموانع ومؤثرات معادية للتسامح في الإسلام، ومن أبرزها وأهمها ما يلي:

الإرهاب وهو أخطر جريمة عرفتها الإنسانية، فالإرهاب يعني الفساد في الأرض، بشتى الطرق والوسائل، والإرهاب يعني القتل والتدمير والتفجير والخراب والدمار للحياة البشرية والبيئية، والإرهاب يعني تهديد الحريات وتعريض الممتلكات والثروات للخطر، وامتهان لكرامة الإنسان وفساد للعلاقات الدولية وقطعها، فالإرهابيون لديهم معتقدات فاسدة وأفكار ضالة وشبهات منحرفة، وهم يعتقدون أن كل من يخالفهم فهو عدو لهم يستباح دمه وماله وعرضه أعاذنا الله من ذلك[5]، فلذلك لا يعرف الإرهابيون خلق التسامح لأنهم يرون أن التسامح لا يتوافق مع عقائدهم الباطلة، وأفكارهم الضالة فهو ضد ذلك، ولذلك الإرهابيون يعادون التسامح أشد العداوة، وينشرون مكان التسامح البغضاء والشحناء والعنف والكراهية والعداء، لكافة الأمم والشعوب والدول، ولعظم خطورة جريمة الإرهاب أوقع الإسلام

(1) أنظر نحن والآخر وإشكالية المصطلح والحوار، حامد الرفاعي، 23.

(2) أنظر السيرة النبوية، أبن هشام، 501/1.

(3) أنظر التقارب والتعايش مع غير المسلمين، محمد الشريف، 28.

(4) أنظر المرجع السابق، 48.

(5) أنظر الإرهاب في ميزان الشريعة، عادل العبد الجبار، 55.

على من ارتكبها أقصى العقوبات وأزجرها، كما في حد الحرابة يقول الله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣﴾

سورة المائدة: الآية 33، هذا وقد سعت كافة الدول والأمم إلى محاربة الإرهاب، وفرض العقوبات عليه، فالإرهاب جريمة عدوانية تعادي التسامح مع البشرية[1].

1- الغلو والتطرف، وهي مسالك فكرية خاطئة، تقوم على التشدد والتنطع، وتدخل في كافة المجالات، وتؤدي بصاحبها إلى الخروج عن دائرة الوسطية والاعتدال، ونتيجة لهذا الغلو والتطرف يرى أصحاب هذه المسالك التعامل مع الآخرين بالشدة والجفاء والعنف والقسوة، وعدم التسامح والرفق معهم، وقد ذم الإسلام مسالك الغلو والتطرف وأخبر بإنها السبب في هلاك الأمم الماضية، يقول النبي ﷺ (إياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلك الغلو في الدين)[2]، فالغلو والتطرف تنشر العدوانية والغلظة والقسوة والجفاء في التعامل وتخالف خلق التسامح بكل أشكاله وأهدافه [3].

2- الطائفية والعنصرية، وهي عبارة عن مذاهب وحركات تقوم على التعصب الممقوت للمكان أو للدين أو للذوات والأشخاص، وتعادي كل من يخالفها، ونتيجة لهذه الطائفية والعنصرية الممقوتة يرى أصحاب هذه المذاهب أنهم أصحاب القيادة والريادة في العالم، وما عداهم لا يستحق إلا الذل والهوان والفتك، وينظرون للآخرين بنظرات الاستحقار والاستصغار لهم، وقد ذم الإسلام هذه الطائفية والعنصرية واعتبرها من صفات أهل الجاهلية التي طمسها عدل الإسلام وسماحته مع الآخرين، يقول النبي ﷺ (إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء، مؤمن تقي وفاجر شقي، أنتم بنوا آدم وآدم من تراب)[4]، وبالتالي فإن الطائفية والعنصرية تنشر العداوة والكراهية والبغضاء بين الشعوب والأمم والدول، وتتنافى مع خلق التسامح الذي يدعو إلى التلاحم والأمن والسلام[5].

3- الاعتداءات والافتراءات الموجهة للإسلام:

لقد قام بعض المستشرقين بنصب العداء للدين الإسلامي وتوجيه الافتراءات والاساءات على الإسلام، وإشاعة أن الإسلام لا يتسامح مع الآخرين ونشروا هذه الفرية بين المجتمعات الغربية، لتحقيق هدفين الأول تشكيك أبناء المسلمين في دينهم وشريعة نبيهم محمد ﷺ، والثاني تحذير الغرب من اعتناق الإسلام، وأن الإسلام دين لا يصلح للاعتناق، فأشاعوا مثل هذه الافتراءات على الإسلام وعلى نبي ﷺ، وللأسف تلقف هذه الافتراءات بعض ممن ينتسب للإسلام، ورددوها وهم يعلمون أنها كذباً وافتراء[6]، وإن الحق ما شهد به الأعداء، فلقد اعترف كثير من المفكرين والعلماء الغربيين، بعدالة وسماحة الإسلام، يقول المفكر توماس أرلوند (إن الفكرة التي شاعت بأن السيف كان الحامل في تحويل الناس إلى الإسلام بعيدة عن التصديق، إن نظرية العقيدة الإسلامية تلتزم التسامح وحرية الحياة الدينية

(1) أنظر مفهوم الإرهاب في الفقه الإسلامي والقانون الوضعي، علي العميريني، 393.

(2) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب المناسك، باب قدر حصى الرمي، حديث رقم 3029.

(3) أنظر الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة، عبدالرحمن معلا اللويحق، 81.

(4) أخرجه ابو داؤود في سننه، كتاب الآداب، باب في النهي عن التفاخر بالأحساب، حديث رقم 5116.

(5) أنظر السماحة في الإسلام، إبراهيم الوقفي، 119.

(6) أنظر الاستشراق والمستشرقون، مصطفى السباعي، 16.

بجميع اتباع الديانات، ولقد ظل أهل الديانات على وجه الإجمال ينعمون في ظل الحكم الإسلامي بدرجات من التسامح، لم تكن تجد لها مثيلا حتى في العصور الحديثة، مما يدل دلالة قاطعة أن الإسلام يدعو إلى التسامح مع كافة شعوب الأرض) [1]، ويقول الكاتب أميل درمنغم في كتابه حياة محمد (لم تعرف البشرية منقذ مثل محمد، لقد اتخذ التسامح مع أعداءه منهجاً في دعوته لدينه، ولم يرو التاريخ أن المسلمين أكرهوا الناس في الدخول في دينهم، ولكنهم اتخذوا التسامح دستوراً لهم) [2]، هذه شهادات من المنصفين والمفكرين الغربيين، وقد صدق الله تعالى ومن أصدق من الله قيلا: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ سورة المائدة: الآية 50، فإن أعداء الإسلام غاظهم انتشار الإسلام في إنحاء الأرض، ودخول الناس فيه، وغاظهم ، وحاولوا تشويه ﷺعدالة وسماحة الإسلام في أحكامه وتعاليمه، فنشروا الأكاذيب والافتراءات والصقوا التهم بالإسلام وفي نبي الإسلام صورة الإسلام أمام الشعوب والدول والمجتمعات الدولية، بأنه دين يعادي التسامح ويدعو للقتل وسفك الدماء، حتى انتشرت هذه الافتراءات في أوساط المجتمعات والدول، وساعد على نشرها وسائل الإعلام المتعددة وشبكان الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي المعادية للإسلام، فكانت مانعاً مؤثراً على إطلاع الشعوب والدول والوقوف على حقيقة عدالة وسماحة الإسلام.

(1) سماحة الإسلام في الدراسات الغربية المنصفة، سعيد عبيدي، 10.

(2) المرجع السابق، 12.

الخاتمة:

التسامح من الأخلاق الإسلامية العظيمة، التي لها الأثر البارز على حياة الناس، فهو يدخل في كافة المجالات، وبعد دراسة أحكام التسامح في الفقه الإسلامي وآثاره المجتمعية والدولية، توصل الباحث إلى أبرز النتائج والتوصيات الآتية:

أولاً: أبرز النتائج:

1- أن مفهوم التسامح له تعريفات متعددة في نظر الباحثين، لكنها تتفق في معنى عام مشترك، وهو معاملة الآخرين بسهولة ولين، والتغاضي عن الأخطاء والعفو والصفح عنها، والتعامل معهم بكرم وعطاء وسخاء، كما أن التسامح له جذور تاريخية في حياة البشرية.

2- لقد جاء القرآن الكريم والسنة النبوية والآثار الكريمة، بمشروعية التسامح في أدلة كثيرة، مما كان لها الدور البارز في ظهور سمات وخصائص خلق التسامح في الإسلام.

3- التسامح في الفقه الإسلامي له صور ومظاهر عديدة، في كافة مجالات الحياة المختلفة، كما أن لخلق التسامح ضوابط وآداب ينبغي مراعاتها والامتثال لها والسير على منهاجها.

4- هناك موانع مؤثرة على خلق التسامح في الإسلام، يحرك هذه الموانع أفراد ودول ومنظمات معادية للتسامح، وتسعى إلى ضد تحقيق التسامح بين الشعوب والأمم والدول.

5- لقد أثيرت حول التسامح في الإسلام شبهات كثيرة وافتراءات باطلة، ولقد انبرى لها العلماء والمفكرين والدعاة والباحثين بالرد والتفنيد.

ثانياً: أبرز النتائج:

1- التسامح في الفقه الإسلامي له مكانة ومنزلة رفيعة، وله أسس وضوابط وأحكامه وآدابه أكثر من أن تحصى، وهي مبثوثة في كتب الحديث والفقه والآداب والأخلاق، ولذا فإن الباحث يوصي الباحثين والدارسين إلى طرق هذه المسائل وجمعها في رسائل علمية، وإبراز سبق الإسلام في دعوته للتسامح وفضله وخصائصه، وإظهار فقه التسامح في الإسلام، وإبراز مظاهر سماحة الإسلام مع كافة الشعوب والأمم والدول الأخرى.

2- التسامح من أعظم الأخلاق الإسلامية، وله ارتباط في كافة المجالات، وله آثار تعود على الأفراد والمجتمعات والدول بالخير والفائدة، ولذا فإن الباحث يوصي العلماء والدعاة والأئمة والخطباء والمعلمين والمعلمات والمفكرين والأدباء بنشر أحكام التسامح في الإسلام بين الأفراد والمجتمعات، كل في مجال عمله، وتذكير الناس وربط الأجيال بهذا الخلق العظيم.

3- أحكام التسامح وآدابه في الفقه الإسلامي مازالت بحاجة إلى المزيد من المؤتمرات والندوات والملتقيات الدولية والوطنية، التي تبرز سبق الإسلام في دعوته للتسامح مع كافة الأمم والشعوب والدول، وتبرز فقه التسامح في الإسلام ومظاهره، ولذا فإن الباحث يوصي بعقد المزيد من المؤتمرات والندوات على كافة المستويات الدولية والوطنية.

4- لقد أصبح الإعلام والإنترنت هي أقوى وسيلة تعليمية وتثقيفية في هذا العصر الحديث، لذا فإن الباحث يوصي باستغلال كافة وسائل الإعلام المتعددة وشبكات الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي في نشر أحكام التسامح في الفقه الإسلامي بين الناس، وبيان ضوابط وآداب التسامح وصوره، وكذا التحذير من المؤثرات المعادية للتسامح الإسلامي.

ما زالت هناك الكثير والعديد من الشبهات الملصقة بالتسامح الإسلامي، والتي تتبناها جهات معادية للتسامح، ولذا فإن الباحث يوصي الدول الإسلامية بإنشاء مراكز ومعاهد ومؤسسات وطنية ومنظمات دولية تعنى بنشر سماحة الإسلام بين الشعوب والأمم والدول الأخرى، وتقوم بدعم كافة البحوث والدراسات التي تنشر ثقافة التسامح الإسلامي وتبرز عظمة التسامح في الإسلام، وتقوم بالرد على الشبهات والافتراءات والاعتداءات الموجهة إلى التسامح في الإسلام، وتقوم بتصحيح صورة سماحة الإسلام التي قام المعادون بتشويهها، نبي الإسلام دعا إلى ﷺكما تقوم بإبراز مظاهر وصور سماحة الإسلام مع كافة أهل الملل والأديان وجميع بني الإنسان، وتبرز أن محمد

التسامح مع كافة شعوب وأمم الأرض، فهو نبي التسامح والرحمة وصدق الله تعالى بوصفه بقوله: **قَالَ تَعَالَى:** ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ الأنبياء: ١٠٧

وختاماً فأنني أحمد الله تعالى أن يسر لي كتابة هذا البحث واتمامه، وكان الفراغ من كتابته في خاتمة شهر رمضان شهر الرحمة والتسامح والغفران، فما كان فيه من صواب فهو من الله الموفق المنان، وما كان فيه من خطأ أو نسيان فمن نفسي والشيطان واستغفر الله منه، واسأل الله تعالى أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وخدمة لدين الإسلام ودفاعا عن دين الإسلام وعن نبي الإسلام محمد الذي جاء بالتسامح مع كافة الأنام صلوات الله وسلامه عليه صلاة دائمة باقية ما تعاقبت الأيام والأعوام وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس المصادر والمراجع:

1- القرآن الكريم.
2- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامة السلامة، دار طيبة، الرياض، ط1، 1430هـ.
3- السعدي، عبدالرحمن بن ناصر ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق محمد زهري النجار، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1415هـ.
4- الترمذي، محمد بن عيسى ، الجامع الكبير المعروف بسنن الترمذي، دار الصديق، الجبيل، السعودية، ط1، 1433هـ.
5- البخاري، محمد بن إسماعيل ، الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه المعروف بصحيح البخاري دار السلام، الرياض – السعودية، ط2، 1419هـ.
6- النيسابوري، مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت – لبنان، ط2، 1428هـ.
7- الشيباني، أحمد بن حنبل ، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الارنؤوط، بيت الأفكار الدولية، عمان – الأردن، ط4، 2010م.
8- الإمام مالك، الموطأ، بيت الأفكار الدولية، بيروت، ط1، 2004م.
9- السجستاني، أبي داود ، السنن، دار الصديق، الجبيل، ط1، 2013م
10- ابن ماجه، محمد بن يزيد ، سنن ابن ماجه، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، ط1، 2009م.
11- ابن سلام، أبي عبيد القاسم ، الأموال، تحقيق محمد خليل مهراس، دار الفكر، القاهرة، ط3، 1401هـ.
12- البزار أبي بكر أحمد بن عمرو ، مسند البزار ، تحقيق محفوظ الرحمن وآخرون، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط1، 2009م.
13- ابن عاشور، الطاهر ، مقاصد الشريعة، تحقيق محمد الطاهر الميساوي، دار النفائس، عمان، ط1، 1420هـ.
14- ابن كثير، تحقيق محمد سليمان، قصص الأنبياء، مكتبة مصطفى الباز، مكة المكرمة، ط1، 1412هـ.
15- العايد، صالح ، حقوق غير المسلمين في بلاد الإسلام، دار كنوز إشبيليا، الرياض، ط4، 2003م.
16- الميداني، عبدالرحمن حسن حبنكة ، الأخلاق الإسلامية دار القلم دمشق، ط4، 1996م.
17- اللحيدان، عبدالله بن إبراهيم ، سماحة الإسلام في معاملة غير المسلمين، موقع حملة السكينة على الرابط https://www.moia.gov.sa/
18- الزير، محمد عبدالعزيز ، تعامل النبي ﷺ مع غير المسلمين، ط1، 1440هـ.
19- قريشي، عمر عبدالعزيز ، سماحة الإسلام، مكتب الأديب السعودية، الرياض، ط3، 1426هـ.
20- الحسين، عبداللطيف ، دعوة تسامح الغرب مع المسلمين في العصر الحاضر، دار ابن الجوزي، ط1، 1419هـ.
21- الزحيلي، وهبة ، أحكام الحرب في الإسلام، دار المكتبي، دمشق، ط1، 1420هـ.
22- زيدان، عبدالكريم ، أصول الدعوة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1407هـ.
23- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ط2، 1989م.
24- الكبيسي، مصطفى مكي ، أحكام التعايش مع غير المسلمين، دار النفائس، عمان، ط1، 2013م.
25- العثيمين، الشيخ محمد بن صالح ، شرح العقيدة الوسطية، دار ابن الجوزي، ط2، 1414هـ.
26- الكرمي، مرعي بن يوسف ، دليل الطالب لنيل المطالب، دار طيبة، ط3، 2008م.
27- دية، عبدالمجيد عبدالله ، القواعد والضوابط لأحكام المبيع في الشريعة الإسلامية، دار النفائس، عمان، ط1، 1425هـ.
28- المباركي، أحمد علي سير ، العرف وآثره في الشريعة والقانون، الرياض، ط1، 1992م.
29- وهدان، حسن عبدالرحمن ، العمل الخيري مع غير المسلمين، دار النفائس، عمان، ط1، 2013م.
30- الزحيلي، محمد ، حقوق الإنسان في الإسلام، دار ابن كثير، بيروت، ط5، 1429هـ.

31- ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا، دار الكنوز العربية، ط2، ب ت.
32- الشريف، محمد موسى ، التقارب والتعايش مع غير المسلمين، دار ابن كثير، بيروت، ط2، 1429هـ.
33- العبد الجبار، عادل ، الإرهاب في ميزان الشريعة، ط1، 2005م.
34- اللويحق، عبدالرحمن معلا ،الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة، مؤسسة الرسالة، ط2، 1992م.
35- عبيدي، سعيد ، سماحة الإسلام في الدراسات الغربية المنصفة، مجلة المجتمع على الرابط https://mugtama.com/ .
36- الغزالي، محمد ، التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام، دار نهضة مصر، ط6، 2005م.
37- الخطيب، عبدالكريم ، الحدود في الإسلام حكمتها وآثارها في الأفراد والجماعات، دار اللواء، الرياض، ط1، 1980م.
38- الحقيل، سليمان ، حقوق الإنسان في الإسلام والرد على الشبهات المثارة حولها، الرياض، ط3، 1421هـ.
39- الذهبي، محمد حسين ، آثر إقامة الحدود في استقرار المجتمع، دار الاعتصام، ط1، 1978م.
40- الحصين، محمد بن فهد ، الفتاوى الشرعية في القضايا العصرية، الرياض، ط2، 1424هـ.
41- المطعني، عبدالعظيم إبراهيم ، سماحة الإسلام في الدعوة إلى الله تعالى، مكتبة وهبة للنشر، القاهرة، ط1، 1414هـ.
42- أبو خليل، شوقي ، التسامح في الإسلام، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 1414هـ.
43- الربيعة، عبدالعزيز ، سماحة الإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1400هـ.
44- ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق علي نجيب عطوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1405هـ.
45- الهاشمي، أحمد ، جواهر الآدب، السيد دار الفكر، ب د، ب ت.
46- الطريقي، عبدالله ، الثقافة والعالم الآخر، دار الوطن، الرياض، ط1،2011م.
47- أبو خليل، شوقي ، تسامح الإسلام وتعصب خصومه، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ط1، 2007م.
48- الغريب، عبدالباسط يوسف ، تسامح الإسلام مع غير المسلمين، ب د، ب ت.
49- الحوفي، أحمد محمد ، سماحة الإسلام، دار نهضة مصر، ط1، 2006.
50- عطية، عمرو ، سماحة الإسلام مع غير المسلمين في السلم والحرب، دار المدني، ط1، 2012م.
51- الوقفي، إبراهيم ، السماحة في الإسلام والمسيحية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1989م.
52- الفهداوي، خالد ، منهج التعايش بين المسلمين، دار صفحات للدراسات والنشر، ط1، 2007م.
53- الرفاعي، حامد ، نحن والآخر وإشكالية المصطلح والحوار، من مطبوعات المنتدى الإسلامي العالمي للحوار، ط1، 2006م.
54- الزنيدي، عبدالرحمن بن زيد ، سماحة الشريعة بالتعامل مع الواقع للدول والأفراد، بحوث ندوة أثر القرآن في تحقيق الوسطية ودفع الغلو، مطبوعات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، ط1، 1425هـ.
55- العميريني، علي عبدالعزيز ، مفهوم الإرهاب في الفقه الإسلامي والقانون الوضعي، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، الرياض، ط1، 2007م.
56- الحقيل، سليمان ، متطلبات المحافظة على نعمة الأمن والاستقرار في بلادنا، ط1، 1418هـ.
57- الموسوعة الفلسفية العربية، معهد النماء العربي، ط1، 1988م.
58- ابن منظور، محمد بن مكرم ، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ.
59- الفيومي، أحمد بن محمد ، المصباح المنير، المكتبة العلمية، بيروت، ب ط، ب ت.